كلمة العدد

البحرين ... نظرة من قريب

بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

احتفلت البحرين منذ أيام بالعيد الوطني المجيد . . احتفلت به وهي تخطو في ثقة نحو الغد المأمول . . وتتطلع في إيمان نحو مستقبل مشرق يعود بالخير والعزة على الوطن والمواطن معاً . وإن نظرة إلى بلادنا من قريب لتؤكد أن البحرين حققت في السنوات القلائل الأخيرة ما حققه غيرها في عقود وعقود . لقد امتدت يد الإصلاح إلى كل مرفق وكل مجال . . وامتدت يد التحديث لتتحول بالبحرين إلى دولة لائقة بتاريخها وبماضيها وبتطلعاتها وبإصرارها على أن تتخذ المكان اللائق بها وسط المنظومة الدولية وهو ما استطاعت بالفعل أن تحققه لتصبح اسماً معروفاً وموقعاً مؤثراً على الخريطة الدولية . . كما استطاعت أن تتجاوز بالعمل الدؤوب والسياسة الحكيمة، استطاعت أن تتجاوز قلة الموارد لتندفع على درب التنمية محققة رغم ظروفها معدلات مرموقة شهد بها الجميع . لقد كانت السنين الأخيرة سنين صعبة بالنسبة للمنطقة اشتعلت فيها بؤرة الصراع في الشرق وتحولت الخلافات الساخنة إلى مواجهات عسكرية أشد سخونة وتصارعت وتسارعت

التدخلات والمحاور وعصفت بمحيط السياسة الخليجية أمواج عاتيـة جرت وراءها موازين جديدة واتجاهات متباينة فليس سهلاً أن تشهد الساحة المحدودة وفي سنين متقاربة أربعة حروب مع ما تخلفه من تداعيات تنعكس آثارها على الجميع .

ولكن وسط هذا الاضطراب ووسط هذه العواصف التي تتابعت على سماء المنطقة سارت سفينة الوطن تجتاز طريقها رغم الأنواء، وتواصل طريقها بحنكة وحكمة، تقبض على دفتها يد ربان ماهر يعرف جيداً كيف يتجاوز مخاطر الأعماق وكيف يوجه السفينة وسط العواصف المهلكة نحو بر السلام والأمان .

إن العالم مقبل على عصر جديد . لن نكون متفائلين فنقول إن العالم يتجه نحو مظلة السلام والرخاء للجميع . . لكننا ندرك ويدرك الكثيرون أن الصراع في العصر الجديد الوشيك سوف يكون صراعاً ضارياً . . وذلك أنه سوف يكون صراع الأسواق والبورصات وساحات التجارة الدولية . فلقد كان الصراع العالمي طوال الألفي عام، بل وأقدم من ذلك، هو في حقيقته صراع اقتصادي بالدرجة الأولى وهو صراع تزيا بأزياء مختلفة . . حتى الحروب الصليبية التي شنها الغرب على الشرق لم تكن باعتراف جميع المؤرخين إلا حرباً اقتصادية . . والاستعمار لم يكن توسعاً للعزة الوطنية وإنما كان قرصنة للسيطرة على خطوط التجارة العالمية . . وليس العصر الجديد إلا امتداداً . . ولكنه امتداد متحضر للحروب الصليبية والاستعمار العسكري . . وليس معنى أنه متحضر أنه سوف يكون أكثر إنسانية، بل إنه يخفي أنياباً أكثر حدة وأهدافاً أخبث طوية . . هذا العصر الذي نوشك أن ندخل فيه ليقتضي حشد كل الطاقات الوطنية والإقليمية وتوحيد الصف العربي في أخوّة صادقة تأخذ في الاعتبار صالح الجميع ورفاهية المواطن الخليجي حتى لا تترك ثغرة واحدة تتسلل فيها سلبيات العصر الجديد بأسلحتها الخبيثة . . فالوحدة هي القوة الحقيقية التي لا تغلب . والأُخوّة هي أمضى الأسلحة في ساحات الألفية الثالثة . ذلك لأننا في هذه المنطقة ندرك معنى الأخوة ونعي جيداً معنى الأصل الواحد والهدف الواحد والمصير الواحد ولأننا يجمعنا دين

يوحد ولا يفرق، يدعم ولا يمزق . . يقول : أحب لأخيك ما تحب لنفسك . هذا السلاح لا يعرفه الآخرون . . وإن عرفوه فهم لا يؤمنون به . . الوحدة والاستقرار والأخوة هي القوة الحقيقية التي لا تُغلب . وإذا كان العصر الجديد هو عصر الاستثمارات والأسواق فإن الاستثمارات والأسواق، تبحث عن الأمان والاستقرار . فذلك هو الوطن الحقيقي للمال وهو المناخ الذي تنمو فيه وتفرخ خيراً للجميع .

إن البحرين دولة صغيرة . . وليست دولة بترولية . . وليست سوقاً ضخمة ولكن ليس معنى ذلك أنها دولة هامشية . . بل العكس هو الصحيح . . وماضيها يشهد بذلك . فقد حوّل آل خليفة الزبارة القاحلة إلى نقطة جذب للتجارة الخليجية ومحطة هامة على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب . واستطاعت براعة آل خليفة أن تجعل من الزبارة اسماً لامعاً في الخليج كله . . الخبرة إذن موجودة . . والمواطن البحريني مواطن ذكي . . وهو غواص ماهر يعرف جيداً اللؤلؤ الزائف من الدانة الفريدة . والعصر القادم هو عصر الذكاء وعصر الاستقرار وعصر الأمن وعصر الأسواق التي تمد الرخاء ليُظِلّ الجميع .

والمواطن البحريني بتراثه العريق يعرف ذلك جيداً ويعرف أكثر كيف يتعامل معه .

عبد الله بن خالد آل خليفة

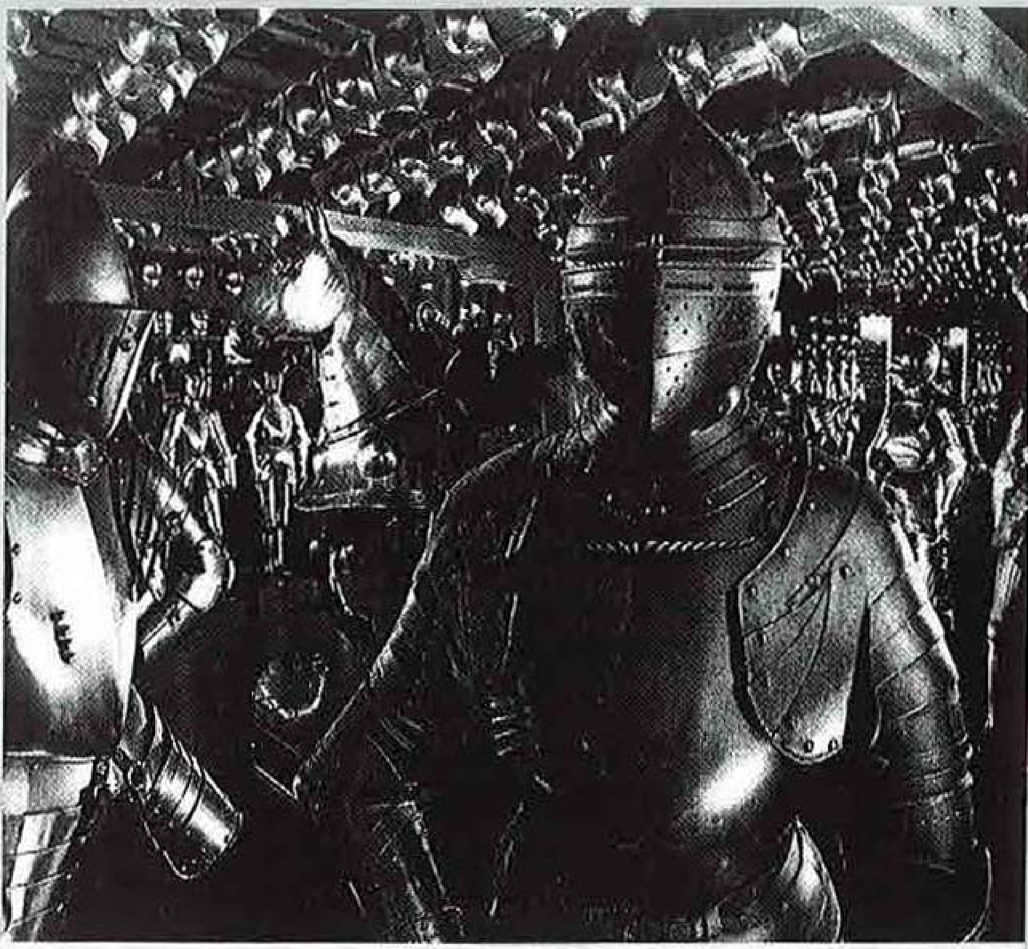
النزاع حول البحرين

بين بريطانيا والعثمانيين

في القرن التاسع عشر

بقلم : زكريا كرسون - استنبول

إن الإمبراطورية العثمانية التي سيطرت على الأقاليم الواسعة الممتدة حتى الخليج العربي في الربع الأول من القرن التاسع عشر واجهت منافسة من البرتغاليين فاضطرت إلى مشاركتهم في احتلالها . وعقب نزاعات دامت مدة طويلة، استغلت الدولة العثمانية العقيدة الدينية للسكان المحليين الذين اعتنقوا الإسلام، وأخضعت المنطقة كلها تحت راية سليمان القانوني . وأدخلت الدولة العثمانية النظم الإدارية الخاصة بها في بعض المناطق فحسب وتركت الشئون الإدارية في المناطق المحتلة في أيدي المحليين الذين يتعهدون بولائهم لها . وكانت الاحساء والقطيف من الفئة الأولى في هذا الترتيب والبحرين من الفئة الثانية[1] .



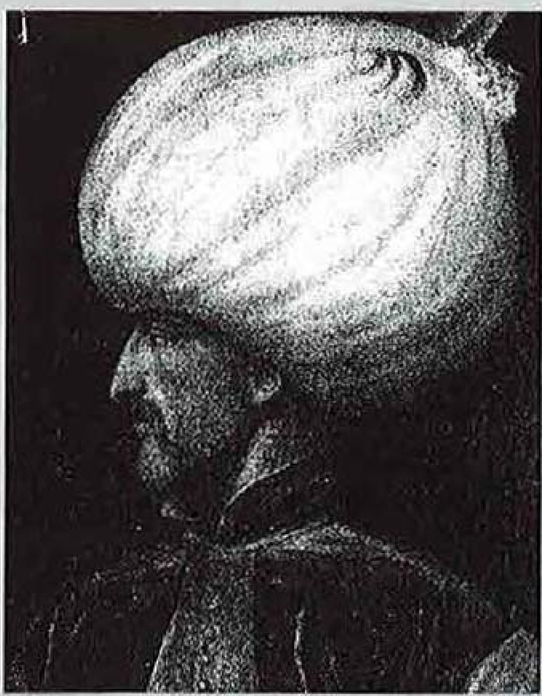
كانت كل من البحرين وقطر في منطقة الخليج دائما معرضة لجشع بلدان مختلفة لأنهما كانتا مرفأي التوقف للسفن في الطريق الذي ربط بين أوروبا من جهة وبين المياه الدافئة والخط التجاري إلى الهند وبعد أن قضى العثمانيون على التهديد البرتغالي، ما كان عليهم إلا أن يشاركوا ليس فقط الإيرانيين بل الهولنديين والفرنسيين أيضاً في القرنين

الوثيقة ١٣.

السابع عشر والثامن عشر والبريطانيين في القرنين التاسع عشر والعشرين في ممارسة نفوذهم . ومع أن العثمانيين تعاملوا مع منافسيهم على قدم المساواة حتى القرن التاسع عشر إلا أن ميزان القوى تحول لصالح الإنجليز في ذلك القرن . وهكذا، بالنسبة للجدل حول البحرين بصفة خاصة، كانت للإنجليز اليد العليا بالفعل .

وفي هذا المقال، أقصد أن أعالج موضوع مطالب الدولة العثمانية للسيادة فحسب، في وجه التفوق البريطاني الفعلي دون التطرق إلى مناقشة الجوانب العامة الأخرى للنزاع .

وكما هو معروف، فقد تأسست دعائم سيادة بريطانيا في الخليج العربي في عام ١٧٩٨م بإبرام اتفاق مع سلطان مسقط وبذلك وضع الإنجليز حداً لتواجد الفرنسيين والهولنديين في الخليج وفي إطار الاتفاق المذكور تم تعيين ممثل بريطاني في مسقط في عام ١٨٠٠م كي يعمل مستشاراً لإمام مسقط . وأن الإنجليز تجنبوا احتلال مسقط التي نالت استقلالها بوفاة السيد سعيد، سلطان زنجبار، وتبنوا سياسات معتدلة تجاه المنطقة وهكذا وضعوا أسساً لفرض سيطرتهم على المنطقة كلها في المستقبل[٢] . ولم يشعر العثمانيون بأي مضايقة في ملاحة السفن الإنجليزية في البحر الأحمر والسواحل الإفريقية نظراً للنفوذ الذي مارسته فرنسا في هذه المياه وكانت بعض المسائل معلقة للنقاش بين العثمانيين وفرنسا آنئذ . ولم تكن أية صلات مباشرة بينهم وبين مسقط متيسرة . غير أن سكانها كانوا من المسلمين وإقليمها كان يجاور أرضها وافترضت الدولة العثمانية سيطرتها عليها . فما كان لها أن تتجاهل الأنشطة البريطانية في المنطقة . وفي الحقيقة كان إمام مسقط يشجع الإنجليز أخيراً على احتلال البحرين على أساس أن مياهها كانت غنية بثروة اللؤلؤ واحتاجت إلى حمايتها . وهكذا غرس السلطان بذور نزاعات تبرز مستقبلاً . وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت على دراية تامة به إلا أن اهتمامها كان مرتكزاً على مسألة السلفية المتفاقمة . فتراجع موضوع العمليات البريطانية في المنطقة إلى الخلف . وفي هذه الأثناء أثبتت قوات محمد علي باشا والي مصر ثقلها في منطقة البحر الأحمر والخليج العربي مما أدى إلى تحسن الوضع نسبياً . وبكلمات أخرى كلفت المحافظات مؤقتاً بمهمة تسيير سياسات ملائمة لمواجهة التهديد البريطاني بالتوغل إلى المناطق التي كانت تحت سيطرة العثمانيين . وعلى أثر النتائج الإيجابية التي أحرزها محمد علي باشا في تسوية مسألة السلفية، برزت مشكلة أخرى وهي حرص



السلطان سليمان القانوني
في عهده بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها



محمد علي باشا
خرج من عباءة الإمبراطورية العثمانية

محمد علي باشا على فرض سلطته الشخصية وليس سيادة الدولة العثمانية . وأن تقوية موقف محمد علي باشا في الخليج معناها تمهيد طريقه ليتعدى على البصرة وبغداد . ولقد كان هذا هو السبب وراء ارتياح الباب العالي عندما فشل خورشيد باشا وهو في خدمة محمد علي باشا، في مغامراته في منطقة نجد ولم يستطع أن يحتل البحرين[٣] . وفي الحقيقة، عندما انسحبت قوات محمد علي باشا من منطقة نجد والحجاز بعد قليل من هذا الحادث طبقاً لاتفاقية لندن (١٨٤٠م) فقد عادت الدولة العثمانية إلى مجابهة الإنجليز مرة أخرى .

وخلافاً للرأي العام السائد، يرجع النزاع بين بريطانيا والدولة العثمانية حول البحرين إلى عام ١٨٤٠م كما ذكر آنفاً وليس إلى السبعينات . وتوجد شهادة مقنعة لإثبات ذلك في المصادر العثمانية . وفي وثيقة مؤرخة في ١٨٤٧م جلب والي بغداد الانتباه إلى الحقيقة بأن "الإنجليز لعبوا دوراً فعالاً في منطقة مسقط والبحرين والكويت وهي المنطقة التي ورثتها الدولة العثمانية من أسلافها"[٤] وتجاوزات الإنجليز على البحرين وحتى على الكويت آنئذ لم تحصل مجرد نتيجة انسحاب القوات المصرية من المنطقة . بل نالت مساعي الإنجليز تيسيراً في مهمتهم بسبب ممارسة نفوذ الإمام السعودي فيصل بن تركي على شيوخ الخليج . لأن هذا القائد السلفي الذي استغل فراغ السلطة في نجد قد بدأ فرض ضريبة باسم الزكاة (لمساعدة الفقراء) . وقبل الاستيطان في منطقة ما، كانت سياسة بريطانيا تهدف إلى حماية القبائل العربية المتعادية بعضها البعض . ونجحت هذه السياسة وجلبت نتائج إيجابية في المنطقة حول مسقط وعمان، لدرجة محاولتها لتحريض إمام مسقط الذي كان تحت حمايتها، على رفضه تسديد الضرائب للسلفيين[٥] .

إن الحركة الحرة والمستقلة التي أطلقها الإمام فيصل بن تركي في منطقتي نجد والخليج العربي كان بإمكانها أن تحث بعض الشيوخ العرب على إنشاء علاقات مع البريطانيين وأخذت الدولة العثمانية هذا الاحتمال بعين الاعتبار وقررت تعيينه قائمقام نجد ببعض التحفظات[٦] . اعتقدت الحكومة العثمانية أن تعيين فيصل بن تركي قائمقاماً[٧] يلقي عليه المسئولية عن بعض الأماكن الخليجية بما فيها البحرين وهكذا

يمنعه عن مواصلة تصرفاته الحرة في حين رأى بعض الإداريين المحليين بأنه يجب على الحكومة المركزية أن تمنح الحرية لقطر والبحرين وحتى مسقط أو تعيين الإداريين فيها مباشرة . لكن الحكومة العثمانية لم تنصت لمثل هذه النصائح بسبب الأعباء المالية والعسكرية التي تعود عليها من هذا الترتيب . ولم تكن لديها الموارد المالية الكافية لتحمل هذه المصاريف . ومن أجل الحفاظ على نفوذها ولو رمزاً، قررت الحكومة العثمانية استخدام سلطة الإمام فيصل القائد السعودي لأغراضها بتعيينه قائمقاماً كخيار أفضل . وفي الحقيقة قد أثبتت هذه السياسة فعاليتها لفترة ما . غير أن فيصل بن تركي كان بخيلاً للغاية مما أدى ببريطانيا لإقامة علاقات حميمة مع البحرين .

وإثارة الخلافات بين أفراد عائلة آل خليفة التي حكمت البحرين منذ أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٣م) في أواسط الستينات من القرن التاسع عشر، أوجدت لكل من بريطانيا وإيران مبرراً للتدخل في البحرين . وأحدثت اتجاهين في التفكير . وأوصت المجموعة الأولى باستمرار العلاقة السابقة مع نجد في حين فضلت المجموعة الثانية منح الحرية لها . وهذا ما كان يتوقعه الإنجليز دائماً . وفي الواقع أرسلت الجماعة المؤيدة للاستقلال الذاتي التماساً للقنصل البريطاني المقيم في بوشهر للمساعدة(٨) . فأرسل الإنجليز سفينة إلى الجزيرة حيث رست فيها بضعة أيام . وهكذا بدأ التدخل البريطاني في شئون البحرين لأول مرة . ونرى بأنه في نفس الوقت رغبت إيران أيضاً أن يكون لها ضلع في الأمر فأرسلت سفيراً للبحرين دون جدوى(٩) . وأخيراً هدأ هذا الوضع المعقد في البحرين على يد الموظفين العثمانيين الذين هرعوا إلى المنطقة من البصرة . وفي هذه الأثناء، ظل فيصل بن تركي هادئاً دون انفعال تجاه التدخل العثماني . ومن جهة أخرى اتهم أمير مكة، فيصل بن تركي بالتحريض على هذه الأحداث . وقدم الأمير من جانبه اقتراحاً لسحب إدارة البحرين من نجد وتحويلها لولاية بغداد(١٠) . غير أن الدولة العثمانية لم تكن موافقة على الاقتراح الذي تطلب التغيير في الوضع القائم .

ووقع حادث مشوق في عام ١٨٦٢م حين التمس أمير البحرين، محمد بن خليفة، ولاية بغداد معبراً عن رغبته لتسديد ضرائبه لبغداد فيما بعد، على أساس محاولة فيصل بن تركي لرفع معدل الضرائب . وفي تعليقه على الاقتراح الذي كان موجهاً إلى الباب العالي، عارضه والي بغداد، نامق باشا، قائلاً بأنه يخلق مزيداً من المشاكل الجديدة

بسبب عدم ملائمة ميناء البصرة وعدم كفاية النظام الدفاعي فيها . وأضاف نامق باشا قائلاً بأن الحل الوحيد هو التراضي بين فيصل بن تركي والبحرين[١١] . وأخيراً تم الوصول إلى التراضي .

وحدث التدخل الفعلي لبريطانيا في شئون البحرين عام ١٨٦٩م . ويشير هذا التاريخ إلى الزمن الذي كانت فيه الدولة العثمانية قد قررت ممارسة سياسة أكثر فعالية في المنطقة . وأرادت أن تستغل الفرص المتاحة لها بفتح قناة السويس، وتجدد وتنشط ميناء البصرة الذي ظل عاطلاً منذ أمد طويل[١٢] . كي يفتح المجال لوضع وتنفيذ سياسات أكثر نشاطاً في المنطقة . وهكذا على الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهها الإنجليز في ١٨٦٩م، تم إقناع شيخ الكويت على قبول تعيينه قائمقام وتأكيد الاعتراف الرسمي لسيادة الدولة العثمانية على الكويت[١٣] .

وفي هذه الظروف مارس الإنجليز سياسة أكثر نشاطاً بشأن البحرين . والقوات البريطانية التي نزلت على شواطئ البحرين قبضت على محمد بن عبد الله وأفراد أسرته الذين رفضوا تجنيسهم كرعايا بريطانيين وأسَرَتْهم وقامت بنفيهم إلى بومباي . وأعلن الإنجليز تولي الشيخ عيسى بن علي الحكم على البحـــرين بعد أن طلب أهـــالي البحرين ذلك[١٤] . واعترضت الحكومة العثمانية على هذا الإعلان عن طريق سفيرها بلندن مؤكدة أن البحرين كانت إقليماً عثمانياً منذ أن احتلت الدولة العثمانية منطقة العراق . في حين ادعت بريطانيا بأن البحرين ظلت مستقلة دائماً ولم تخضع قط للعثمانيين، وأعلنت بأنها – أي بريطانيا – كانت قد أبرمت اتفاقية مع علي بن خليفة، شيخ البحرين الأسبق من أجل الحماية . واعتباراً من ذلك التاريخ تأكدت بريطانيا من تواجد قنصل دائم في الجزيرة وسفينة لها راسية في ميناء البحرين[١٥] .

واشتد نزاع دبلوماسي شديد بين بريطانيا والدولة العثمانية حول البحرين وذلك قبل حملة مدحت باشا في الاحساء في عام ١٨٧١م . وكان الإنجليز، الذين توقعوا أن يشن مدحت باشا والي بغداد حملة عسكرية في نجد، قد بذلوا أقصى جهد لمعرفة حجم وأبعاد هذه الحملة، وحاولوا ألا يتوجه الجنود العثمانيون إلى البحرين . ومارس الباب العالي الحكمة في موقفه حول البحرين، تجنباً لإمكان الفشل في حملة الاحساء التي ألقى بها أهمية فائقة . وفي الحقيقة، أن التعليمات التي صدرت بخصوص حملة الاحساء

حددت الساحل البحريني كحد أقصى مما يدل على حكمة ذلك التوجيه السديد . بل ذهبت بريطانيا إلى حد الادعاء بأن كلاً من الوزير الأعلى علي باشا ووزير الخارجية سرور باشا قد أعلنا قبل شن الحملة، بأن الدولة العثمانية ما كانت لها أية مطالب للسيادة على البحرين . غير أن الدولة العثمانية كذبت فيما بعد هذه المزاعم البريطانية مراراً مؤكدةً أن البحرين كانت داخل حدودها الإقليمية[١٦] .

وعلى أثر الحملة في الاحساء في أواخر عام ١٨٧١م، تجدد جدل شديد حول البحرين بين بريطانيا والعثمانيين عندما استقر العثمانيون بيسر في ساحل نجد وقطر . ونظرت بريطانيا إلى وجود العثمانيين في قطر بمثابة خطر للبحرين . وأحدثت مشاكل عديدة واحدة تلو الأخرى بحجة القرصنة . وفي حين اعتمدت بريطانيا على شيخ البحرين، اعتمدت الدولة العثمانية على شيخ الكويت من جهة وعلى شيخ قطر من جهة أخرى في محاولة لإنشاء تواجدها على أرض ثابتة راسخة واتخذت الدولة العثمانية عدة خطوات وإجراءات سياسية ولو رمزية لتؤكد اهتمامها الدائم بالبحرين .

ولا يمكن غض النظر عن سياسات بريطانيا المتقلبة بالنسبة إلى البحرين رغم أنها مارست سيادة فعلية عليها في وجه الإصرار الدائم من الدولة العثمانية حول حقوقها عليها . وعلى سبيل التوضيح، يمكن القول بأن بريطانيا استهدفت في عام ١٨٧٢م، طبقاً للاتفاقات التي أبرمتها مع الشيوخ المحليين، مجرد الحفاظ على الأمن في منطقة الخليج . وحتى أعلنت بأنها لن تتدخل في الشئون التي تقع خارج نطاق الشروط المذكورة في الاتفاقات . ونفت بأنها تريد فرض سيادتها على البحرين المركزية . وعندما قدم بعض البحرينيين إلى القنصل البريطاني لحمايتهم، قال الإنجليز بأنه ليس إلا التماساً من شعب صديق لهم في سبيل العلاقات الودية القائمة بينهم وبين بريطانيا . وفي نفس الوقت أصدرت بريطانيا تعليمات لقنصلها في بغداد لتوفير الحماية للبحرينيين الوافدين إلى الإقليم العثماني مؤقتاً فحسب . وعدم توفيرها للسكان الدائمين في بغداد أو البصرة . وتعاملت الدولة العثمانية ليس مع السكان الدائمين فقط بل البحرينيين الذين كانوا في زيارة لنجد والبصرة مؤقتاً كمواطنين عثمانيين . ولم تعترض بريطانيا على هذا التعامل حتى التسعينات في القرن التاسع عشر لكنها احتجت عليها فيما بعد لكن الحكومة

العثمانية ادعت بأن بريطانيا ليس لها أي حق لحماية المواطنين البحرينيين لأنه ليس لها السيادة على البحرين(١٧) .

وهناك أسباب عديدة لاتخاذ بريطانيا مواقف متصلة في التسعينات . ومن جهة مارست السلطات المحلية في كل من نجد والبصرة الضغط على شيخ البحرين ليعلن عن تبعيته للدولة العثمانية، ومن جهة أخرى أعلنت السلطات العثمانية عن قصدها لتعيين رجال الإدارة في كل من الزبارة والعديد في قطر مما أدى إلى اتخاذ بريطانيا موقفا متحدياً . وإضافة إلى هذه العوامل الداخلية، يجب أن نذكر أن ألمانيا كانت آنئذ على وشك الحصول على موطئ قدم في الخليج لتحقيق أطماعها مدعماً بصداقتها مع الدولة العثمانية . وأدت هذه العوامل إلى وضع بريطانيا صيغة جديدة لسياساتها . وأكدت بريطانيا اعتباراً من عام ١٨٩٢م بأن البحرين تتمتع بحمايتها . وأصرت على أن الضرائب التي دفعها البحرينيون في البصرة يجب أن تعاد لها ويعامل بهم كالأجانب بالنسبة إلى الجمرك .

وقدمت الدولة العثمانية احتجاجات على طول الخط شفهياً وكتابة مؤكدة أن السلاطين العثمانيين كانوا قد فرضوا سيادتهم على البحرين من زمن قديم ولازال هذا الوضع مستمراً . وبهذا الخصوص قدمت شهادة ثبوتية مؤيدة لمطالبها التاريخية على البحرين بأن مواطني الجزيرة كانوا مسلمين فقراء دائماً كانوا تحت إدارة القائمقام في نجد الذي كانت تعينه الحكومات العثمانية من حين لآخر ودفع البحرينيون الضرائب للقائمقام .

وكان الشعار السلطاني منحوتاً على أبواب المساجد في البحرين وكذلك على المدافع في قلعة البحرين وبأن البحرين كانت تابعة إدارياً لنجد بسبب قربها الجغرافي منها . وهكذا فقد أدى هذا الوضع إلى حرب باردة بين بريطانيا التي تمتعت بالسلطة الفعلية من جهة والدولة العثمانية التي تمتعت بالسيادة النظرية فقط . وفي نفس الوقت مارس الجانبان الحذر في مراسلاتهما الرسمية وحتى في رسم الخرائط وتجنبا استخدام الكلمات والألوان التي كان بالإمكان استغلالها من جانب آخر . واستمرت الحرب الباردة هذه حتى برز مشروع سكة حديد بغداد . وفقدت المشكلة صفتها كموضع خلاف بين الجانبين واكتسبت أبعاداً دولية .

الملحق

(ترجمة وثيقة عثمانية حول جزيرة البحرين)[١٨]

الباب العالي :

وزارة الخارجية

دائرة الشئون السياسية

رقم ٨٤

إلى مكتب الوزير الأعظم

الموضوع : جزيرة البحرين

إن الرسائل مع الملحقات التي أرسلها محمد بن خليفة آل خليفة متضمنة الطلب للحماية ضد الإنجليز في البحرين، والمراسلات التي تبودلت بين قائمقام الولاية والمعتمد السياسي البريطاني في البحرين حول فيروز بن مبارك، الذي ارتكب جريمة السرقة في القطيف وهرب إلى البحرين مع خليلته، ورسالة وزارة الداخلية مع ملحقاتها حول تقديم رسالتين من ولاية البصرة اللتين تم إرسالهما، والرسالة المؤرخة في أيلول ٧، ١٣٢٦ (٢٠ سبتمبر ١٩١٠م) من الوزير الأعظم، كلها حصلت على دراسة الموقع أدناه . ويمكن الاستنتاج من دراسة المراسلات المسجلة لدى وزارة الخارجية للحكومة البريطانية بأن بريطانيا اعتبرت البحرين مستقلة من عام ١٨٢٠م ووقعت مع حاكمها على اتفاقية لوضع حد على القرصنة الخ . ولن تسمح للبحرين أن تقبل تبعية وحماية الدولة العثمانية أو أية دولة أخرى، حسبما قال السير (استرا فورد ريدكليف)، السفير البريطاني في استنبول في عام ١٨٥١م . غير أنه في وقت لاحق قد قيل مرات عديدة بأن علي باشا الراحل، ويقول البعض سرور باشا، نقل إلىَ المترجم للسفير البريطاني في استنبول في عام ١٨٧١م بأن الحكومة العثمانية، ما كانت لها أية مطالب للسيادة على البحرين . وأن

هذا الادعاء الذي قدمته الحكومة البريطانية مرات عديدة دون أي دليل في تأييده، رفضته الحكومة العثمانية كل مرة، وأكدت بأن البحرين جزء تكاملي للأقاليم العثمانية . ومن جهة أخرى فإن مطالب الإنجليز للسيادة على البحرين كانت متغيرة وغير متماسكة منذ عام ١٨٧١م . وعلى سبيل المثال، كان هدف بريطانيا عام ١٨٧٢م مجرد الحفاظ على الأمن في خليج البصرة حسب الاتفاقية المبرمة، وأعلنت بريطانيا بأنها لن تتدخل إلا في إطار الاتفاقية .

وفي عام ١٨٧٣م رفضت أن تكون لها أي سيادة على البحرين . وفي عام ١٨٧٤م عندما تلقى القنصل البريطاني التماساً من المواطنين البحرينيين الساكنين في الأراضي العثمانية لتوفير حماية بريطانيا لهم، رأت بريطانيا كأنه يرمز إلى حرص هؤلاء المواطنين على الاستفادة من العلاقات القائمة بين البحرين وبريطانيا على أسس الصداقة الحميمة والتحالف المتين بينهما .

والتعليمات التي أصدرتها الحكومة البريطانية لقناصلها في بغداد طلبت منه أن يقدم وساطته ومساعدته للمواطنين البحرينيين الزائرين مؤقتاً وألا يورط نفسه في شئون الساكنين في الأراضي العثمانية بصفة دائمة . وأوضحت له بأنها لم ترغب في فرض سيادتها على البحرين . والرسائل التي أرسلتها بريطانيا للحكومة العثمانية حول هذه الأوضاع عكست هذا الموقف .

وفي عام ١٨٩٢م ادعت بريطانيا بأن جزر البحرين كانت تحت حماية بريطانيا . وجاء هذا التأكيد في رسالة صادرة من السفارة البريطانية في ١١ نوفمبر ١٨٩٢م رداً على الشكوى التي قدمتها وزارة الخارجية العثمانية بخصوص طلب القنصل البريطاني في البصرة لإعادة الضـــرائب التي جمعت من المواطنين البحرينيين من قبل الحكومة المحلية .وكل مرة رفعت الحكومة البريطانية مثل هذه القضايا، تصدت لها الحكومة العثمانية شفهياً وكتابياً، وعارضت التدخل البريطاني في منطقة البحرين قائلة إن السيادة على البحرين للدولة العثمانية . وأكدت وزارتنا الخارجية مراراً سيادة الدولة العثمانية على البحرين وفي إثبات ذلك قالت أن رعاياها من المسلمين، وكان يديرها دائماً القائمقام في نجد الذي تم تعيينه من قبل الدولة العثمانية .

ودفع البحرينيون الضرائب لقائمقام وصادَقَ عليه القادة العسكريون الذين أوفدهم العثمانيون إلى منطقة البحرين في عام ١٨٧٢م . وكانت أبواب المسجد والمدفع في قلعة البحرين منحوتة بشعار السلطان . ووضعت البحرين تحت إدارة نجد نظراً لقربها بها جغرافياً . ورغم هذه الدلائل الثبوتية تجاهلتها الحكومة البريطانية وأعلنت بأنها فرضت سيطرتها على البحرين، بل وذهبت أبعد من ذلك وادعت أن الدولة العثمانية ليس لها حق على الزبارة والساحل المجاور لها . وأصرت بريطانيا بأنها تحمي البحرينيين الساكنين في ولاية البصرة وبغداد، ولن تسمح بالتعامل معهم كمواطنين عثمانيين .

وعلى الرغم من أن الحكومة العثمانية رفضت هذه المزاعم، إلا أنها لم تتخذ أية خطوات لتحول دون تحقيق أهداف الخطوات الإنجليزية .

وفي مثل هذه الظروف، على الحكومة العثمانية أن تقرر أن تسترد القضية سياسياً إذا طلب محمد بن خليفة ذلك، وتنظر في إمكان محمد بن خليفة أن يحل محل الشيخ الذي حسب قول الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة، يمارس سلطة الحكم في الجزيرة لصالح الإنجليز وتعزيز قوتهم فيها . ومع ذلك، إذا وافقت الحكومة العثمانية على تجاهل مسألة السيادة مؤقتاً، فيمكن الاتصال بالحكومة البريطانية بلندن شبه رسمي لاستعادة الأرض والأموال المغتصبة من قبل الحكومة البحرينية تحت حكم شيخ البحرين . ونظراً لأن أبا الشيخ أي الحاكم الأسبق للجزيرة والمعتقل في الجزيرة، أفرج عنه بعد تدخل الحكومة العثمانية فقد تكون بمثابة سابقة في الأمر .

وبالنسبة إلى اللاجئين الجناة من نجد الذين لجئوا إلى البحرين، كما يبدو من المراسلات التي دارت مع القائمقام في القطيف، تم إدانتهم محلياً وأحيلت الأموال المسروقة إلى السلطات العثمانية . وإذا وقع حادث مماثل مستقبلاً، فيمكن لقائمقام القطيف أن يطلب من الحكومة البريطانية شبه رسمياً، أن تتصرف بطريقة مماثلة . وكذلك، بخصوص تسليم العساكر الهاربين من الخدمة مما يتطلب مراسلات مع وزارة الداخلية، قد ترفض الإدارة البحرينية رفضاً باتاً . فطبقاً لرأي محافظ نجد، يمكن تحديد مدة لهم لتسليم أنفسهم طوعاً فيها، قد يعفي عنهم في هذه الحالة بعض العقوبات مؤقتاً . لذا

على الحكومة العثمانية أن تعتبر سكان البحرين الساكنين في أراضيها سابقاً كمواطنين عثمانيين وأن تتعامل معهم على هذا الأساس .

وفي الحقيقة، نظراً لأن الحكومة البريطانية لم تؤكد حق السيادة على البحرين قط واعترفت في عام ١٨٧٤م، كما ذكر آنفاً، بأن تدخل القناصل البريطانيين في شئون رعايا البحرين لم يكن إلا تدخلاً ودياً . لذا لا يجوز معاملة سكان البحرين حتى من وجهة نظر الحكومة البريطانية كأنهم أجانب مستفيدين من بنود الاتفاقات القديمة . غير أنه يمكن منحهم الحقوق التي يتمتع بها السكان المحليين حسب بنود القانون الدولي . وترفق تراجم المذكرة والوثائق الأخرى المستلمة . ١٧ ذي الحجة ١٣٢٨هـ/٦ كانون الأول ١٣٢٦ (١٩ ديسمبر ١٩١٠م) .

التوقيع :

وزير الخارجية

الهوامش

١ – الدفتر المهمة رقم ٣ مرسوم ٣٦٤ .

٢ – يلدز، صدارة خصوصي ٤/٢٩٧ .

٣ – خط همايون ٢٠٥٢٥ أ .

٤ – إرادة مجلس مخصوص ٢٠٦٧ .

٥ – يلدز صدارة خصوصي ٤/٢٩٧ .

٦ – صدارة مكتوب قلمي ٦٥/١٢٧ .

٧ – وفي وثيقة مؤرخة في ٢٥ أغسطس ١٨٦٠م ورد السطر التالي " جزيرة البحرين مقابل محطة القطيف فهي مسئولية قائمقام نجد . ٦٨/٤٢٦ .

٨ – نفس المصدر السابق .

٩ – ٦٣/٤٢٦ .

١٠ – نفس المصدر السابق .

١١ – إرادة داهلية ٣٣٣٤٩ إي إم إم ١٦٦٧ .

١٢ – إرادة مجلس مخصوص ١٦١١ .

١٣ – عينيات دفتري – ٨٥١، ص٧٤ .

١٤ – إرادة مجلس مخصوص – ١٦٦٧ ليف ٦ .

١٥ – باب عالي أفراك أوداسي ١٩٢٦٧٤ .

١٦ – بي آي أو ٣٠٠٦٦٢ .

١٧ – مجلس الوكلاء ٧١ ، ص٣٠، و ٧٤ ص٣٣ .

١٨ – أرشيف رئيس الوزراء العثماني – استنبول – بي آي أو ٣٠٠٦٢٢ .

مذكرات عن البحرين

يبدو ومن المستحسن، وأنا أقدم هذه المحاضرة المعنونة [مسح لميناء البحرين وخور الباب] أن أعرج لشرح الظروف التي رافقت إنجاز هذا المسح مع ضرورة التنبيه إلى صفته غير المكتملة أو النهائية . وهنا أشير إلى أن العمل قد أنجز أثناء تواجدي على متن الباخرة (ماهي Mahi) التابعة لبحرية صاحب الجلالة، أثناء قيامها بدورياتها بين البحرين والدمام لمراقبة تحركات شيوخ المنطقة والإخبار عن أية أعمال عدوانية من هذا الجانب أو ذاك . فقد تيسرت لي خلال تأديتي هذا الواجب الفرصة لفحص القناة المسماة "خور الباب" الواقعة بين فشت الجارم وخور فشت، وكذلك قمت بالتحقق من صحة خارطة البحرين الحالية التي تزود بها المراكب في هذه المنطقة .

※ نقلا عن :
Memoir on Bahreyn. By Lieutenaunt R.W. Whish. H.M.I.N. Transactions of the Bombay Geographical Society 1860-1862, Vol. 16, pp. 40-47.

البحرين عام ١٨٦١م *

للملازم البحري ر. و. هويتش

ترجمة : دكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم



إن قناة خور الباب معروفة سواء لمن تولى القيام بمسح الخليج أو لضباط الأسطول البريطاني، كما يعكس ذلك تقرير الملازم كونستابل المنشور عام ١٨٥٦م . ولكن لم ينشر منذ ذلك التاريخ أي تقرير عنها بل لم يتم تحديدها أو حتى الإشارة إليها في خارطة ميناء البحرين المتوفرة حالياً، حيث اكتفي بالقول بأن فشت الجارم تربطه بالساحل "أرض يابسة أثناء الجزر" .

لقد جرت سابقاً البرهنة على إمكانية الملاحة عبر خور الباب حيث أن الباخرة (سميراميس Semiramis) التابعة لبحرية صاحب الجلالة قد اجتازتها قطراً برفقة عدد من مراكب الأسطول وذلك عام ١٨٥٩م . ومع ذلك فقد بقيت هذه القناة محظورة على مراكب الحكومة (البريطانية) . وقد فهمت بأن حاكم البحرين هو وراء ذلك فقد وجه الأدلاء للقول بخطورتها وتعذر اجتيازها .

ولهذه القناة (خور الباب) أهمية بالغة فهي تقع على خط مباشر بين البحرين والقطيف،وبين الموقعين حركة دائبة، كما أن الإبحار فيها ميسور في كل الظروف وعلى مدار السنة وقد اجتزتها في باخرة بحرية صاحب الجلالة (ماهي) في إبحار بطيء وفي مواجهة ريح عاتية، وما قمت به بإمكانٍ أي قارب حربي أن يفعله . ومن جانب آخر فإن هذه القناة توفر نحو عشرين ميلاً إذا قورنت بالطريق التقليدي بين البحرين والقطيف الذي طوله ٤٥ ميلاً والذي يدور حول رأس الجارم، بينما لا يتجاوز هذا الطريق بين مرسى ومرسى ٢٥ ميلاً فضلاً عن هدوء مياهه . لكننا إذا مضينا في طريقنا قاصدين الدمام فسنواجه بحيد بحري خطير يقع على الغرب من خور فشت ويسمى الجاشوس، تظهر فيه صخور ناتئة . وهذا الحيد لابد من القيام بفحصه وتشخيصه . وهناك حيدٌ ثان هو (النيوة) ويقع على الجانب الشمالي من المر . وقد انتقلنا أثناء قطر الباخرة (ماهي) ومن قبلها (سميراميس) في طور واحد من عمق ٢,٢٥ قامة إلى ٧,٥ ويحدث ذلك عند الحافة الشمالية لحيد الجاشوس .

وعلى قدر تعلق الأمر بخط الساحل بين الدمام ورأس تنورة فإن رسمه في الخارطة الحالية يفتقر إلى الدقة، لكنني وأقولها بأسف، لم أكن في وضع يؤهلني لتقديم صورة أكثر دقة عنه بسبب افتقاري للأدوات اللازمة . وقد اتخذت من السنابس نقطة لتوجيه عملية المراقبة وهذه تقع في بوفلاسة، وهي لم تظهر في (خارطة القطيف) . وإذا استقصينا

موقعها نجدها تقع عند حيد بحري تغطيه مياه المد . وهنا يجدر التنويه باعتذار الملازم كونستابل في مذكراته عن هذه الخارطة .

لقد قدمت الملاحظات السابقة لصلتها بمنطقة خور الباب وكذلك لكون هذه المنطقة أكثر الأجزاء اضطراباً في الخليج فهي بحاجة لأن يرابط فيها مركب من مراكب الأسطول لضمان الأمن ومنع الاضطرابات .

وقد تيسر لي أثناء قيامي بتفحص الخور المذكور لأختبر دقة خارطة ميناء البحرين المستخدمة الآن، وقد وجدتها بالغة الاختصار، وإن كانت كافية لتقديم فكرة ما عن المكان . أما الخارطة المقدمة الآن فهي مرسومة على سطح مستو بمقياس رسم إنش/٢٠٠٠ ياردة، وقد نفذت بكل انتباه ودقة ممكنة . بالإضافة إلى قيامي بسبر أعماق الميناء، فقد تمكنت من تكوين فكرة ما عن داخل الجزيرة وهذه الفكرة نتاج رحلة قمت بها إلى رُفار (رفاع الشرقية) وجبل الدخان (أعلى موقع في الجزيرة)، الذي شيدت في قمته هرماً من الحجارة لكن هذه الخارطة ليست أكثر من مجرد دليل لتقديم مسح أكثر دقة واكتمالاً في مناسبة قادمة . ولهذا السبب وحده تراني أجازف بتقديم نتائجها بين أيدي القراء .

لقد تم اختيار نقطة محسوبة بدقة لتكون محوراً أو مركزاً للخارطة وكانت مقر الشيخ في المنامة (وبالاستناد إليها تم تحديد خط الأفق) . وبينها وبين أعلى نقطة في قلعة البحرين أو الحصن البرتغالي الذي يقع على خط ٥٣و ٢- و ٨٨° نحو ٥٩٠٢ ياردة ويسمي السكان المحليون هذا الحصن بعدة أسماء مثل (قلعة الفرنجي، قلعة الجبلي، قلعة البحرين)* وهي موقع لمدينة قديمة تعود إلى زمن لم تكن فيه المنامة سوى قلعة صيادين . ولكن ليس ثمة مدونات عن تاريخ هذه القلعة، ولكنها تبدو موغلة في القدم ومتسعة المساحة . وهناك كتابات ونقوش بارزة على بعض أبراجها لكننا عندما قمنا بتفحصها أيقنا بأنها ترجع إلى مراحل متأخرة، ولعلها بالأصل حجارة أخذت من بعض المباني واستخدمت لترميم القلعة وحجتنا في ذلك أن هذه النقوش والكتابات بالعربية . ويوجد في وسط القلعة بئر عميق مهدم البناء، يحتوي في قاعه على قليل من الماء المالح .

---

* وتسمى كذلك قلعة العجاج .

ويتحدث السكان عن وجود نفق سري تحت الأرض يربط بين القلعة والكصير (وهي صخرة مراقبة) وثمة علامات على هذه الصخرة توحي بأن هذا المكان كان يوماً ما موقعاً لبناية معينة . لكن المياه هاهنا بالغة الضحالة، فضلاً عن عدم وجود ما يدل على بقايا ميناء برتغالي فيها . وعلى مقربة من القلعة باتجاه الشرق تقع قرية كرب اباد وبينها وبين المنامة قرى السنابس والنعيم .

ويبدو لي أن صورة الجزيرة جنوباً، كما تظهرها الخارطة المطبوعة هي أقرب إلى التخمين . وقد قيل لي بأن هناك إمكانية لقيام أي مركب بالدوران حول الجزيرة وأن هناك أماكن يزيد عمقها على ٦٠ قامة بحرية، فإذا كان الأمر كما يقال فهذا يجعلها أكثر المواقع عمقاً في الخليج . وقد قامت السفينة الحربية فوكلاند Falkland بعملية استطلاع حول الجزيرة بوصفها قارب حراسة، لكنها لم تقدم أي تقرير عن سعة وكفاءة هذه الممرات، وقد أخبرني الشيخ علي بن خليفة بأنه كان مزمعاً على توجيه الباخرة سميراميس للطواف حول الجزيرة . وفي اعتقادي فإن قبطان الباخرة كان يتمنى تحقيق ذلك لولا الظروف هي التي حالت دون تنفيذ الأمر .

ويقودنا الطريق من المنامة إلى جبل الدخان عبر حدائق وبساتين نخل غنية، وإذا اتخذت اتجاه المنائر فستعترضك بعض برك المياه الآسنة، وهذه يصعب اجتيازها أو يسهل وفقاً لأوقات المد . وبعد نحو نصف ميل من السير في وسط أشجار النخيل تجد نفسك أمام فضاء مفتوح، يتألف في البداية من آكام أو قباب (ربما هي بالأصل مدينة أو قرية كبيرة قديمة) لكن الأرض تبدأ بالاستواء وإن كانت أحياناً تتموج، ثم يواجهك تحول في صفة الأرض، حيث يقابلك سهل صخري يأخذ تدريجياً بالارتفاع فيبلغ ٤٠ — ٥٠ قدماً . وتحده من الجانبين منحدرات صخرية . وتجد نفسك إثر ذلك في مرتفع أجرد تكسوه الصخور، ووحدها خيول هذا البلد بإمكانها ارتقاءه . ثم نجد أنفسنا في داخل فوهة بركانية واسعة* تحيطها المنحدرات من كل جانب . ويقودنا هذا الطريق لخمسة أميال عبر أرض صخرية لينتهي بجبل الدخان، وهو كتلة صخرية تشمخ وحدها في وسط هذه الفوهة البركانية .

---

* ضللت صخور الجبل السوداء هوتش كما ضللت غيره في تصوير الجبل ذا منشأ بركاني .

وتتناثر على امتداد الطريق بين الرفاع وجبل الدخان حِصيٌّ مدورة تشبه ما يعرف بـ (حصى البطاطا) حيث أنها تشابهها في الشكل وقد قمت بكسر إحداها فوجدتها مجوفة وتغطيها من الداخل طبقة من معدن كريستالي رقيق، بينما يغطي سطحها الخارجي من الطحالب يكسبها لوناً أخضر في أعين من ينظر إليها من بعد . وإنني لجد آسف لعدم جلبي عينات منها فباعتقادي أنها ستكون ذات أهمية كبيرة من الناحية الجيولوجية .

ولم أستطع رؤية أي شيء من أعلى جبل الدخان باتجاه رأس البر خلا سهل رملي أجرد تفصله عن البحر أرض صخرية منحدرة لكن قيل لي بأنه يمكن رؤية جزيرة الزخنونية، التي تقع إلى الجنوب الغربي عند صفاء الجو . ومن جانب آخر فإنني أستطيع من هنا ومن الرفاع أن أثبت مواقع قرى الزلاق والمعامير وكذلك يمكن تحديد عرض الجزيرة بين هذين المكانين . وهناك مرتفعات أقل علواً بين جبل الدخان والرفاع لكني لم أتمكن من تحديد ارتفاع أي منها عن مستوى سطح البحر لعدم توفر الأدوات اللازمة، ويمكن رؤية جبل الدخان على مسافة ما من الميناء لذا يمثل علامة جيدة عند الدخول إليه .

والرفاع هي مشفى البحرين، ويقال بأنها مكان صحي للغاية وهناك في قرية الحنينية التي تقع على سهل عند أسفل القلعة بئر بالغ العمق، وتعد مياهه من أعذب مياه الجزيرة . ويصف السكان مياه المنامة بالخفة ومياه الحنينية بالثقل، ولعل هذين المصطلحين إنما يستخدمان للدلالة على درجة كثافة المياه أو وزنها . ويعيش الأفراد الصغار في أسرة شيخ البحرين في الرفاع، وقد التحقوا هناك بالمدارس ويتلقون التدريبات العسكرية ويتعلمون الانضباط كما قيل لي .

وتجدر الإشارة هنا إلى ينابيع المياه الموجودة في المناطق المحيطة بالجزيرة (والتي سميت، كما يبدو، لأجلها بالبحرين) وهذه الينابيع في أغلبها تحت مستوى سطح البحر وتقع على حيود قبالة الشاطئ بينما تكون البعض منها غاطسة على الدوام .

وعند الساية وهي جزيرة صخرية تقع إلى الغرب من قرية البسيتين نبع للماء العذب تتدفق مياهه في حوض، إلا أننا نجد أن مياه البحر تندفع إلى الحوض مع اندفاع المد واشتداد الريح الشمالية الغربية وتوجُّ مياهه، ولكن في غير ذلك من الأوقات فإن المياه

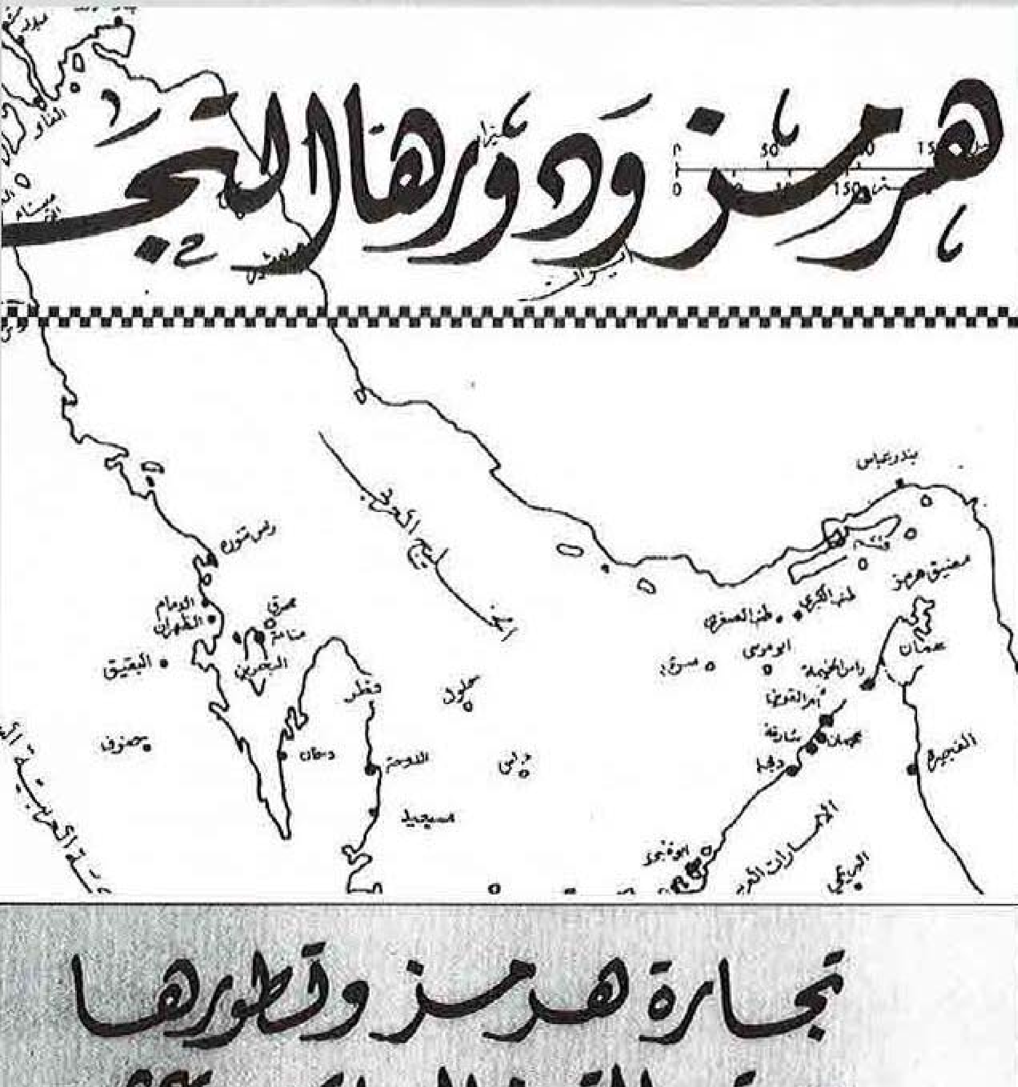
المستقاة منه عذبة للغاية . وإذا اتجهنا إلى الشمال الشرقي سنجد ينبوعين على الحيد الصخري بين جزيرة اخصيفة والشاطئ، ويظهر هذان النبعان في حالة الجزر فقط . وإذا واصلنا الطريق شرقاً نلتقي بنبعين آخرين يقذفان مياههما على الحيد الصخري (الكشاش) الذي يمتد شرقاً حتى يصل قرية القلالي . ويحمي هذا الحيد برج أو حصن يسمى جردي، وثمة أقوال عن وجود ينابيع عذبة أخرى إلى الجنوب من جزيرة بوشاهين لكن الفرصة لم تسنح لي لزيارتها .

وهناك قرب حصن المحرق نبع آخر اسمه أبو ماهر، وجدران هذا الحصن تطل على النبع الذي تتصف مياهه بدفئها وتستقى بواسطة المانبو الذي يربط به خرطوم المياه وتغطي هذا النبع مياه البحر في كل حالات المد .

وثمة نبع آخر في خور فشت تغطيه مياه البحر بواقع ثلاثة أقدام عند الجزر، وقد استقيت عن هذا النبع ٧٠٠ جالون من الماء في يوم واحد ملأت بها المركب الذي هو تحت قيادتي، فقد اتخذت بوماً (وهو قارب حمل كبير ذو أرضية واسعة) ووضعت فيه صهريجاً خشبياً كبيراً، وتقدمت به برفقة السفينة ماهي قطراً نحو خور فشت ثم ألقيت المرساة على بعد ٥٠٠ ياردة، ثم بلغت النبع فجئت بقمع نحاسي كبير في نهايته خرطوم للمياه ومضخة ووضعت قاعدة القمع فوق النبع وأحطت جوانبه بقماش القنب كي لا يتسرب الماء العذب، ثم بدأت بتشغيل المضخة فأخذت المياه تنتقل عبر الخرطوم، فملأت حقائب من القنب كنت قد أعددتها مسبقاً لهذا الغرض، وبعدها الصهريج الخشبي . وكذلك حاولت تجربة القيام بوضع مضخة أعلى النبع وقمت بسحب المياه وتكللت العملية بالنجاح، إلا أن المد اضطرني إلى التخلي عن هذه الطريقة لصالح الطريقة الأولى . وكان الماء الذي حصلت عليه عذباً تماماً، وقد أعلن الجميع بأنه أطيب مذاقاً من الماء الذي استقيناه في البحرين .

ويقع هذا النبع على مسافة ٦,٢٥ ميلاً عن أقرب يابس . ويمكن اتخاذ الحصن البرتغالي (قلعة البحرين) والمروادي بمثابة الطريق إلى موقع النبع أسوة بجبل الدخان وهرم الأشجار (الذي سميته شجرة العبور) لكن من الصعوبة إيجاد النبع في أوقات المد ولاسيما إذا كان سطح البحر مضطرباً .

هرمز ودورها التجـ



تجارة هرمز وتطورها حتى القرن السادس عشر

هرمز في الخليج العربي

خلال القرن السادس عشر

بقلم : الدكتور صبري فالح الحمدي

برزت أهمية مدينة هرمز الساحلية ومنذ فترات تاريخية قديمة لكونها تحتل موقعاً سوقياً على المضيق الذي يربط خليج عمان بالخليج العربي، فضلاً عن تحكمها في المضائق المؤدية إلى المياه الداخلية للخليج العربي، مما جعلها محطة تجارية للمواصلات العالمية بين الشرق والغرب تمر عبرها البضائع القادمة من أوروبا إلى سواحل الجزيرة العربية والعراق وفارس والهند، مقابل استقبالها لصادرات تلك البلدان المتجهة إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط وأوروبا، فضلاً عن احتفاظ هرمز بعلاقات تجارية مع شرق أفريقيا التي كانت تعد مصدراً هاماً للمواد الخام، وهو ما أثار أطماع القوى الأجنبية ودفعها إلى محاولة فرض نفوذها على الجزيرة باعتبارها تمثل بوابة الخليج العربي .

يُعَدُّ طوران شاه ذو الأصول العربية هو المؤسس الحقيقي لمملكة هرمز في القرن العاشر الميلادي، والتي أخذت تنمو وتزدهر حتى غدت مركزاً تجاريا معروفاً منذ أواخر القرن الحادي عشر، واستطاعت أن تأخذ مكان الصدارة في تجارة الخليج العربي، إذ أصبحت أهم منطقة لتجميع السلع التجارية وأكبر منافس لميناء قيس الذي حل خلال الفترة من القرن الثاني عشر الميلادي إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي محل ميناء سيراف الذي كان من أهم الموانئ التجارية في الخليج العربي[١]، وصارت هرمز درة من درر المدائن في العصور الوسطى، ومما يعزز ذلك ما جاء في مخطوطات التاجرة الروسية (أناتاسيا نيليستينا) والتي كانت قد أبحرت إلى الهند عن طريق الخليج العربي قبل فاسكو دي جاما (١٤٩٧م) بأربعمائة سنة من وصف لمدينة هرمز بقولها : "تعتبر مدينة هرمز محطة تجارية عظيمة يأتيها الناس من جميع أنحاء العالم وتوجد فيها مختلف البضائع"[٢] .

وحين وصل الرحالة الإيطالي ماركو بولو للخليج العربي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، شاهد هرمز عام ١٢٧١م ودون ملاحظات عنها كالتالي:

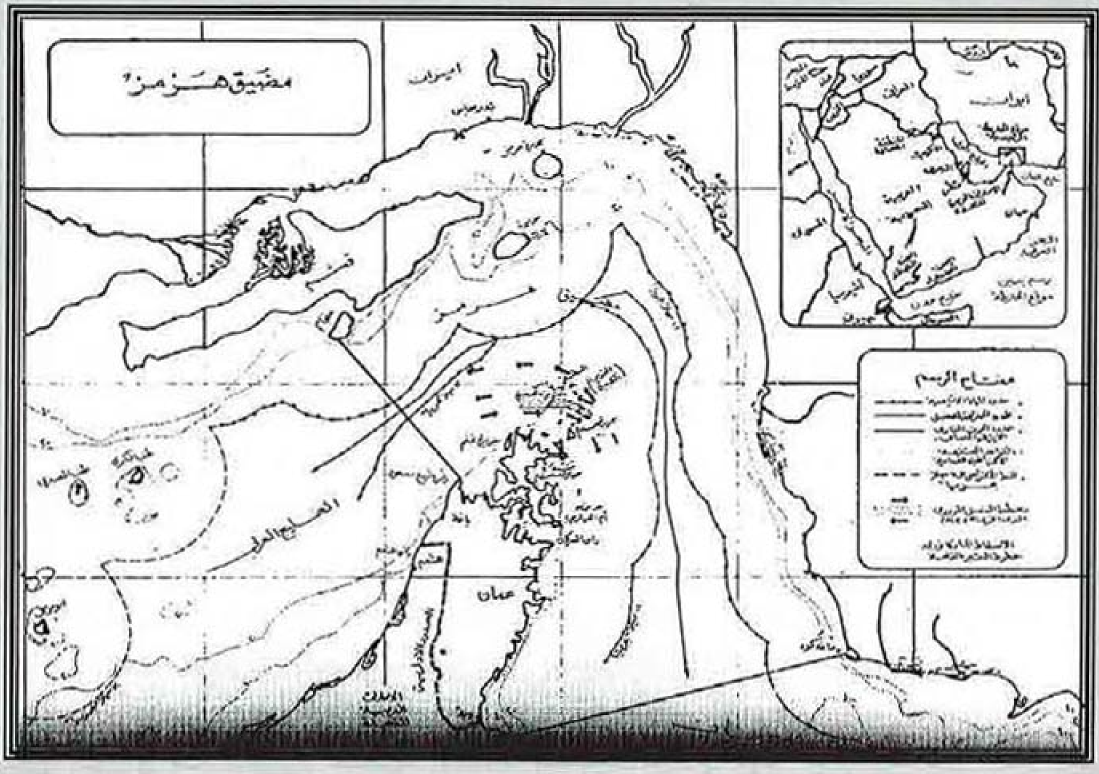
"تقع هرمز على جزيرة في مدخل الخليج العربي، وهي ميناء يتردد عليه التجار من جميع أنحاء الهند، حاملين معهم التوابل والعقاقير والأحجار الكريمة والآلئ والرقائق الذهبية والعاج والبضائع الأخرى"[٣]، وعلى الرغم من تعرض الأخيرة للغزو المغولي عام ١٣٠١م، إلا أن سكانها الذين يمتلكون طاقة تجارية لم يستسلموا لغزوات المغول، وانتقلوا إلى جزيرة صغيرة باسم (جيرون) تبعد خمسة عشر ميلاً عن الساحل المواجه للموقع القديم، حيث أنشأوا لهم مركزاً جديداً وأطلقوا عليه اسم مدينتهم الأولى (هرمز)، وفيه أخذت التجارة تتدفق بصورة منتظمة وسريعة، وأخذ سكان الأخيرة يستعيدون نشاطهم التجاري حتى تمكنوا أن يؤسسوا دولة من أعظم الدول ثراءً فقد كانت تمثل حلقة هامة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وغدت هرمز عاصمة لأكبر تنظيم سياسي وتجاري شهدته منطقة الخليج العربي[٤]، وللدلالة على ذلك ما خلفه لنا الرحالة العربي ابن بطوطة في رحلته التي قام بها في الفترة من ١٣٢٥ إلى ١٣٤٩م، من وصف هرمز بأنها : "مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند ومنها

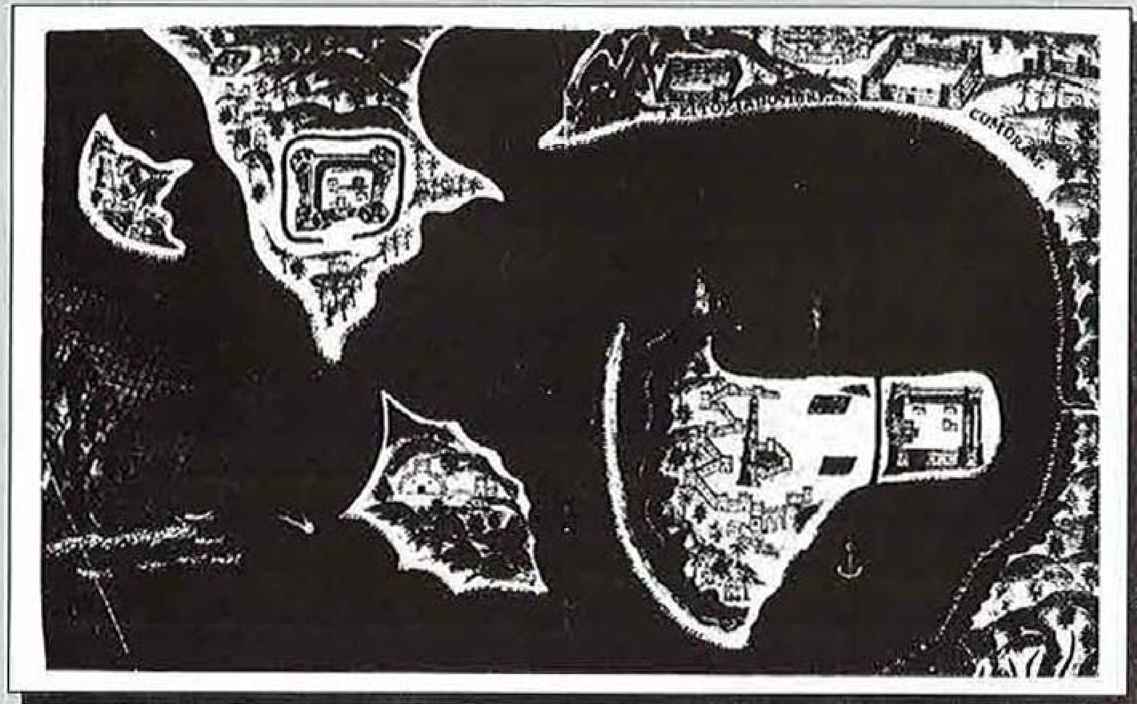
تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان، وطعام أهلها السمك والتمر المجلوب إليهم من البصرة وعمان"[٥].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الجزيرة التي كانت غير ذات زرع تمتعت بازدهار تجاري، وبلغ عدد سكانها - الذين كانوا يعيشون بمستوى عال من الرفاهية والثراء - أكثر من أربعين ألف نسمة، وصارت هرمز مركز استقطاب للتجارة العالمية، خاصة بعد أن وصل التجار الأوروبيون من البندقية وجئوا عن طريق مصر والشام عقب سقوط الدولة البيزنطية، فازدهرت تجارة الشرق الأقصى في ذلك الوقت، وأدى تجار هرمز دوراً بارزاً في نقل البضائع إلى أوروبا عن طريق الموانئ المصرية والشام وشاركهم في ذلك تجار دولة المماليك، وامتد نفوذها للبحرين والقطيف وبعض أجزاء من عمان والبصرة خلال (٢٠٠ عام) قبل البرتغاليين[٦].

تطورت الوظيفة التجارية لهرمز عند مدخل الخليج العربي كواحدة من أهم المراكز التجارية في العالم خلال سنوات النصف الثاني من القرن الخامس عشر، فهي من نقاط الاتصال التجاري الهامة بين الصين وجزر أرخبيل الملايو والهند وفارس وبلاد العرب من جهة وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلدان البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى، وقد قيل في هذه الجزيرة الصخرية الجرداء الشحيحة المياه والسيئة المناخ "إذا كان العالم خاتماً فإن هرمز هي الجوهرة الثمينة فيه"، إلى جانب ذلك صار التجار الشاميون يأتون بأعداد كبيرة إلى البصرة ليتجاوزوها إلى هرمز وليصلوا إلى موانئ ساحل الهند الغربي، وفي الوقت نفسه أصبح ظهور التجار الهنود وبأعداد كبيرة في هرمز والبصرة وبغداد من الأمور المألوفة[٧].

ولعل من عوامل ازدهار هرمز الاقتصادي هو ما أوردته المصادر التاريخية بالقول أن هرمز كانت في الفترة منذ عام ١٣٣٠م وحتى وصول البرتغاليين إليها عام ١٥٠٧م، تحت حكم ملوك كانوا في أغلب الأحيان لا يحكمون حيث تجسدت السلطة في أيدي وزرائهم الذين يمثلون أوليجاركية التجار الموسرين، وكانت هرمز تدير الساحلين الشرقي والغربي على خليج عمان وامتدت سلطتها حتى شملت عدة جزر كالبحرين مثلاً[٨]، وهو ما انعكس إيجابياً في تمتعها بثراء كبير طيلة العصور الوسطى وفي فترة مبكرة من تاريخها الحديث، وربما يرجع سبب هذا الازدهار إلى أن دائرة النشاط التجاري قد اتسعت في


مضيق هرمز
مفتاح الرسم
عمان
الخليج العربي



خريطة قديمة لهرمز كما كانت حوالي ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م

نهاية العصور الوسطى، فلم تعد مقصورة على نقل التجارة بين الهند وسواحل شرق أفريقيا إلى قلب العالم الإسلامي، بل أصبحت جزيرة هرمز تمثل الحلقة الهامة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب، خاصة حين دخلت المدن الإيطالية هذا الميدان وأصبحت هرمز مثلاً يضرب في الثراء والغنى التجاري[٩].

هرمز ودورها التجاري
في النصف الأول من القرن السادس عشر

رغم ما يدعيه الفرس من تبعية مملكة هرمز لنفوذهم بداية القرن السادس عشر، إلا أن غالبية المصادر التاريخية تشير إلى احتفاظ سكان الجزيرة بطابعهم العربي وامتداد نفوذهم بل وتحكمهم في جل جزر وموانئ الخليج العربي من عمان إلى القطيف والبحرين، وكانت تلك السيطرة السياسية والتجارية في الخليج العربي توفر لملك هرمز مداخيل مهمة، فقد ذكرت المصادر البرتغالية أن ضرائب المناطق التابعة للأخيرة خلال هذه الفترة كانت تقدر سنوياً بـ (٤١,٣٠٠) ألف أشرفي[١٠] بينما كان مجموع الضرائب الجمركية يصل إلى (١٠٠,٠٠٠) أشرفي[١١].

ظلت هرمز تمثل معبراً رئيسياً للتجارة العالمية من وإلى مناطق الخليج العربي، مع تصاعد ملحوظ في وارداتها المالية التي كانت تأتيها نتيجة لتنامي فعالياتها التجارية مع المناطق المجاورة وتسابق المدن والموانئ الخليجية في التعامل معها، ويؤكد جيان (أحد ضباط البحرية الفرنسية) الذي وصل الخليج العربي بداية القرن السادس عشر في طريقه إلى الهند، حقيقة أن كل المدن البحرية الساحلية كانت تابعة لسلطان هرمز وبعضها كان له فيها حاميات عسكرية ويدير السلطة فيها حكام يتم اختيارهم من قِبَله[١٢]، وفي هذا الصدد قدم لنا الرحالة فارتيما (Varthema) وصفاً ممتعاً عن هرمز وتجارتها وحياتها الاجتماعية وما كانت عليه مملكتها من عظمة وثراء حينما زارها عام ١٥٠٣ – ١٥٠٤م إذ يقول: " وصلنا إلى مدينة تدعى هرمز وهي مزدهرة جداً ولا ثانية لها في الموقع الممتاز وكثرة اللآلئ وتبادل وانسيابية السلع وأنواع البضائع، ويباع في أسواقها اللؤلؤ الأكبر

حجماً وتداولاً، ويرى أحياناً ما يقرب من (٣٠٠) سفينة وغيرها من أنواع السفن التي تأتي إلى هرمز من أماكن وبلدان عدة، ويوجد هناك حوالي (٤٠٠) تاجر ووكيل يقطنون فيها بصورة دائمة، وذلك لنقل أنواع البضائع القادمة من مناطق أخرى كالحرير والتوابل واللؤلؤ والأحجار الثمينة وغيرها"[١٣].

توجهت أنظار البرتغاليين إلى الطريق البحري بعد أن فقدت الطرق البرية القديمة مكانتها، وتركز هدفهم في ضرورة فرض سيطرتهم على الطرق التجارية الدولية التي تتركز في الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط[١٤]، وأدرك مانوئيل الثالث (Manuel III) ملك البرتغال أنه لاحتكار تجارة التوابل ينبغي عليه احتلال مواقع استراتيجية تتحكم في الممرات العالمية المؤدية إلى الشرق، ولتحقيق ذلك أوكل تنفيذ تلك المهمة عام ١٥٠٦م إلى قائده ألفونسو البوكيرك (Alfonso Alboquerque) الذي أبحر على رأس أسطول بحري وجيش قوامه ألفين وثلاثمائة جندي[١٥]، وكانت خطة الأخير تقوم - كما أوردها في مذكراته - على أهمية السيطرة على المنافذ التجارية البحرية المتمثلة بالبحر الأحمر وعدن وجنوب الجزيرة العربية وسواحلها وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة[١٦]، وعد القائد البرتغالي هرمز وعدن وملقا نقاطاً استراتيجية مهمة بالطريق البحري المؤدي إلى جزر الهند الشرقية وتحمل هرمز المكانة الأكثر أهمية من الأخريات[١٧].

وعلى ما يبدو فإن الدافع الاقتصادي كان المحرك الأساس للغزو البرتغالي للخليج العربي، وأولى البرتغاليون هرمز اهتماماً خاصاً بعد نجاحهم في احتلال موانئ الساحل العماني باعتبار الأولى أقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفته المنطقة في ذلك الوقت، وتشير المصادر البرتغالية بأن هرمز تشكل مركزاً للطريق البحري القادم من الهند والطريق البري من حلب عبر أراضي العراق والخليج العربي، مما جعلها تحتل أولوية خاصة في المخططات الحربية البرتغالية[١٨]، إضافة إلى كونها تعد مصدراً مالياً وذات ثراء كبير بما تأخذه من الجمارك والإتاوات من المناطق المجاورة وما تفرضه من ضرائب على السفن والقوارب البحرية التي تعمل في صيد اللؤلؤ تستخلصها في كل موسم حيث تفد المراكب إليها[١٩].

هاجم الأسطول البرتغالي بقيادة البوكيرك هرمز عام ١٥٠٧م ودارت معركة عنيفة أبدى فيها السكان وملك المدينة مقاومة شديدة، تمكن بعدها البرتغاليون من احتلال هرمز، وينقل لنا الرحالة سوسا (Sousa) وصفاً للمدينة التي زارها عشية سقوطها بأيدي القوات المهاجمة وتفاصيل المعركة بقوله : "وهي مملكة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانئ الشاطئ العماني لمدة قرنين من الزمان فكانت تخضع لها كل من قلهات وقريات ومسقط وصحار وخور فكان، وحاصر البوكيرك الجزيرة وطلب من ملكها (سيف الدين) ومربيه التسليم والخضوع لملك البرتغال، وقد رفض (الشيخ عطار) بإصرار ذلك، وحدثت معركة كبيرة انتهت بقبول الملك سيف الدين ووصيه الشيخ خوجة عطار شروط الاستسلام وهي دفع ضريبة سنوية وقدرها خمسة عشر ألف دينار أشرفي والخضوع لملك البرتغال وبناء قلعة في الجزيرة[٢٠]"، أما تكسيرا (Telxeira) الذي يعد شاهد عيان لاحتلال هرمز فيذكر في رحلته عام ١٥٠٧م – كيفية غزو البرتغاليين المدينة – مشيراً في الوقت نفسه إلى ثراء الأخيرة الاقتصادي بقوله : " دخل البرتغاليون ميناء هرمز وسط نيران ملتهبة قضت على أسواق المدينة التي كانت بحق أغنى أسواق العالم بمنتوجات الشرق من التوابل والمنسوجات الحريرية وقاعدة دولية مهمة في تجارة اللؤلؤ[٢١]" .

ومع أن السياسة البرتغالية كانت ترمي إلى احتكار تجارة الشرق وإضعاف دور العرب التجاري من خلال عدم السماح للأخيرين بالخروج إلى البحر إلا بترخيص من السلطات البرتغالية[٢٢]، إلا أن تلك الإجراءات لم تنجح في تحقيق أهدافها وبقيت هرمز كبقية الموانئ والمدن الواقعة على سواحل الخليج العربي تؤدي وظيفة رئيسية للنشاط التجاري بالمنطقة[٢٣]، ومما يؤكد ذلك ما أشار إليه البوكيرك في مذكراته من إشادة بأساطيل هرمز البحرية التي تنطلق كل سنة إلى الهند وبقية أنحاء العالم[٢٤]، فضلاً عن ذلك فقد استطاعت الأخيرة أن تحقق نجاحاً ملحوظاً في علاقاتها التجارية مع بلاد الهند أسوة بالمدن الخليجية الأخرى، وخاصة بالتبادل التجاري مع مناطق شمال الخليج العربي حتى غدت المركز الذي منه توزع البضائع عبر العراق إلى أسواق سواحل البحر الأبيض المتوسط[٢٥] .

وتؤكد المصادر البرتغالية على ضرورة التواصل التجاري مع هرمز وأشارت الوثائق البرتغالية إلى رسـالة موجهة من البوكيرك بتاريخ ١٥١٤/٩/٢٤م إلى دون عمانوئيل

(Don Amanuel) ملك البرتغال، يشدد فيها الأول على أهمية الاتجار مع هرمز، وجاء في رسالة أخرى مشابهة في نفس العام ما يلي : "لقد أدى فتح هرمز في وجه التجار العرب إلى امتصاص نسبة مهمة مما كان يرسل إلى الهند من فضة وخيول، كما كلفت هرمز بامتصاص سلع الجزيرة العربية والعراق والشام وتوزيع مواد الشرق الأقصى اعتماداً على البصرة على وجه الخصوص"[٢٦] وهو ما زاد في وارداتها المالية، إذ بلغ دخل هرمز السنوي عام ١٥١٥م قرابة الـ (١٩٨,٠٧٨) ألف أشرفي، كان يتم جمعها من المناطق الخاضعة لهرمز والساحل العماني وهي قلهات ومسقط وصحار وخورفكان ودبا وجلفار، كما كان يساهم في ذلك الدخل ما تربحه السفن من صيد اللؤلؤ[٢٧]، أما المصادر الفرنسية فقد اعتبرت هرمز مركزاً تجارياً كبيراً في شرق الجزيرة العربية يمارس سكانها أنواع التجارة مع بقية موانئ الخليج العربي، وأفاد البرتغاليون من موقع المدينة حين جعلوا منها محوراً لأنشطتهم التجارية[٢٨] .

ولعل مما يدعم هذا الانتعاش الاقتصادي حقيقة يمكن استنباطها من روايات الرحالة الأوروبيين الذين وفدوا على الخليج العربي في الربع الأول من القرن السادس عشر، فالرحالة باربوسا (Barbosa) الذي زار هرمز عام ١٥١٨م أعطانا وصفاً شائقاً للمدينة وتجارها وهو مما يدلل على تعاظم مكانتها التجارية بالمنطقة، ومما أورده الآتي : "تعد هرمز بمثابة مستودع للمواد الغذائية كالحنطة والشعير وأنواع الفواكه والتمور والعنب، وفيها تجار معروفون ولها مرفأ جيد تؤمه سفن مختلفة وهي محملة بأصناف عدة من البضائع التي تأتيها من عدة أماكن"، إلى جانب ما ذكره ذات الرحالة من وجود صلات تجارية كانت قائمة بين هرمز وجلفار (رأس الخيمة) بالفترة ذاتها، وأردف يقول : "كان تجار هرمز يأتون إلى مدينة جلفار لشراء السمك واللؤلؤ ثم يتولون بيعها في بلاد الهند ومناطق أخرى، وأن هذه التجارة توفر دخلاً مالياً إلى ملك هرمز، إضافة إلى ما يستحصله من أموال جراء ممارسة ذات النشاط ومع بلدان أخرى"[٢٩] .

وفي بداية عشرينات القرن السادس عشر قررت السلطات البرتغالية عام ١٥٢٠م احتكار تجارة عدد من السلع، ومنعت على الآخرين تجارة الفلفل والزنجبيل والقرفة (الدارسين) والقرنفل وجوز الطيب والحرير إلا بعد الحصول على تصريح ملكي من السلطات البرتغالية، ومع ذلك استمرت هرمز تمارس نشاطاتها التجارية المعتادة، وربما

أسهم في ازدهار تجارة الأخيرة أن الحكومة البرتغالية لم يكن بمقدورها منع ضباطها من التجارة لأن المرتبات كانت قليلة وغير كافية، كما دخل الفساد في إيرادات الدولة وهو الأمر الذي جعلها غير قادرة على دفع مرتبات الموظفين، أي أن المرتبات الضعيفة خلقت الفساد وجعلته يستشري وسهلت للموظفين ممارسة التجارة والتي انتشرت بين صفوفهم خلال هذه الفترة[٣٠] .

وإذا تمعنا النظر ملياً في أسباب إصرار البرتغاليين بالإبقاء على وجودهم في هرمز رغم تصاعد المقاومة العربية ضدهم، لوجدنا ذلك يرجع إلى العوائد المالية التي تستحصلها المدينة، ووفق ما تذكره الوثائق البرتغالية فإن ما تضمنته الرسالة التي بعثها دي أرايس (De Arrais) حاكم هرمز إلى جوا الثالث (Joao III) ملك البرتغال عام ١٥٢٨م ما يلقي الضوء على ثراء المدينة وانتعاشها الاقتصادي، إذ أشارت إلى ما توفره هرمز من مداخيل مالية ذكر منها ضريبة الولاء المؤداة من طرف هرمز، ومداخيل الجمارك التي قدرها بحوالي (٧٠) ألف أشرفي تؤديها عن سلع السفن المقبلة من الهند والقوافل التي يرسلها سنوياً الشاه (إسماعيل الصفوي) ملك فارس أو التي تأتي من البصرة، إلى جانب الضرائب المؤداة عن تجارة الخيول[٣١] .

وبعد نجاح الدولة العثمانية عام ١٥٣٤م في جعل العراق تابعاً لها اشتد الصراع البرتغالي العثماني للسيطرة على الخليج العربي، خاصة بعد دخول أمراء البصرة والقطيف والبحرين في طاعة العثمانيين[٣٢] ورغم أن الاتصالات السياسية التي تمت بين ولاة البصرة العثمانيين وحكام هرمز البرتغاليين لم تسفر عم أية نتيجة إيجابية تسهم في تخفيف حدة التوتر في علاقاتهما، فقد لوحظ حرص الجانبين على محاولة إدامة الصلات التجارية بينهما حفاظاً على مصالحهما في المنطقة، وبرز اتفاقهما على لعب هرمز دوراً فعالاً في تجارة الخليج العربي، ومما يعزز ما نقوله ما أشار إليه المؤرخ العثماني أوزبران بالقول : "جاء في الرسالة التي بعثها دي نورانها (De Noranha) حاكم هرمز في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٥٧٤م إلى جوا الثالث (Joao III) ملك البرتغال اهتماماً برتغالياً في رصد التحركات العثمانية في مياه الخليج العربي، فيما أكدت رسالة أخرى بعث بها دوم ألفارو (Dom Alvaro) حاكم هرمز عام ١٥٥٠م إلى ذات الملك على الحرص في إبقاء التجارة بين البصـــرة وهـــرمز مفتوحة، ومما جـــاء بالرســـالة الأخيرة

ما يلي : "وردت رسالة من الأتراك . كان التركي فيها عازماً على أن تبقى تجارة البصرة – هرمز مفتوحة، وأعطى من أجل ذلك ضمانات أو تعهدات عظيمة"[٣٣]، مما يشير إلى مكانة هرمز التجارية في السياسات العثمانية والبرتغالية معاً .

من جانب آخر تميز ميناء هرمز بامتلاكه إمكانيات ملاحية جعلته قادراً على تقديم الخدمات الضرورية للسفن الوافدة إليه، وأشارت مصادر تاريخية إلى استعداد هرمز لاستقبال السفن المحملة بالبضائع وتفريغها في الميناء المذكور[٣٤]، فضلاً عن وجود خطوط ملاحية منتظمة كانت تربط هرمز بالموانئ الخليجية الأخرى، واعتماداً على (ويلسون) فإن تجارة نشطة كانت موجودة بين مسقط وهرمز، وبأن الأخيرة قامت بدور ريادي في عمليات النقل التجاري من وإلى مناطق الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية طيلة القرن السادس عشر، فهو يقول : "تعد مسقط المستودع الرئيسي لملكة أرموز (Ormuz) التي لابد للسفن أن تبحر من خلال هذه المناطق صوب موانئ الخليج العربي، وبفضل موقع هرمز القيادي على فم الخليج العربي فقد احتلت مركز الصدارة في النشاط التجاري، وكانت كل التجارة البرتغالية مع البصرة وغيرها من موانئ المنطقة بما فيها مسقط تنطلق منها"[٣٥] .

هرمز ودورها التجاري
في النصف الثاني من القرن السادس عشر

شهد النصف الثاني من القرن السادس عشر اشتداد التنافس العثماني البرتغالي للسيطرة على مياه الخليج العربي، وتصاعدت المحاولات العثمانية التي تروم فرض نفوذها على المنطقة، ففي عام ١٥٥٢م جرد العثمانيون حملة منظمة بقيادة (بيري ريس) وقد تألفت من (٣٠) سفينة، وكان من أهداف الحملة الاستيلاء على هرمز والبحرين ومسقط وكسر الطوق الذي فرضه البرتغاليون على التجارة في الخليج العربي[٣٦]، وتوعز بعض المصادر احتلال هرمز مكان الصدارة في المخططات العثمانية إلى ورود معلومات

للقائد العثماني عن غنى ورفاهية سكان مدينة هرمز، إذ قدر عدد أفراد الطبقة الغنية في الجزيرة بحوالي (٣٠٠) تاجر، وكان معدل ما يملكون من رأسمال يقدر بـ (٢٠,٠٠٠) ألف كروزادو[٣٧]، مما شكل حافزاً مضافاً في زيادة الاهتمام العثماني بالخليج العربي[٣٨]، إلا أن الأسطول العثماني لم ينجح في تحقيق أهدافه وعاد أدراجه إلى البصرة، كما فشلت الحملات الأخرى التي أرسلها الباب العالي، ولعل سبب ذلك يعود إلى عدم امتلاك العثمانيين أسطولاً بحرياً قادراً على محاربة البرتغاليين وطردهم من المنطقة، ومع ذلك فقد كان للتوجه العثماني نحو الخليج العربي أثراً لا ينكر في ضمان استمرارية عملية تبادل السلع والبضائع التجارية عبر الخليج العربي طيلة القرن السادس عشر[٣٩].

استمرت هرمز تمثل مركزاً لكل أنواع التجارة المحلية مع البصرة ومسقط وباقي مدن الخليج العربي، وبعد أن كان الضباط البرتغاليون لا يلقون بالاً لكل مزايا استمرار تجارة البصرة – هرمز، فإنهم في عام ١٥٦٣م تجاوبوا مع رغبة علي باشا (والي البصرة) وبعثوا بأنطونيو تكسيرا (Antonio Teixira) لكن السلطان العثماني سليمان اتخذ موقفاً غير متوقع بإصراره على أنه إذا كان البرتغاليون جادين حقاً في استمرار تجارة البصرة – هرمز، فعليهم إرسال مندوب على مستوى رفيع إلى البلاط العثماني لإعلان رغبة بلاده علناً، وفي الواقع فإن النشاط التجاري لم ينقطع ولكن على تفاوت في المستوى وعلى ضوء الأحوال الأمنية وعلاقات الموادعة أو العداوة بين العثمانيين والبرتغاليين[٤٠]، فيما تواصلت الوظيفة التجارية التي تؤديها هرمز بدليل ما أوردته المصادر التاريخية بالإشارة إلى ذكر الأخيرة وبأنها لا تزال تعد إحدى نقاط الارتكاز الرئيسية للنفوذ البرتغالي في عموم مناطق الخليج العربي[٤١].

من جانب آخر كان لهرمز نصيب لا يستهان به في التجارة الخارجية مع مدن الساحل الشرقي لأفريقيا، إذ لم يفت في عضد سكانها حالة عدم الاستقرار السياسي التي كانت تعيشها مناطق الخليج العربي جراء تواصل الصراع العثماني البرتغالي في محاولة كل طرف مد نفوذه على حساب الطرف الآخر، وأيدت المصادر الإنجليزية ذلك وذهبت إلى اعتبار هرمز السوق الرئيسية للتجارة مع مناطق كثيرة من العالم[٤٢]. فقد راح الهرمزيون يمخرون بسفنهم عباب البحر للاتجار مع الأمم الأخرى، حتى صار لتجار المدينة أماكن إقامة دائمة على سواحل تلك البلدان كي يتسنى لهم الإشراف على

عمليات التبادل التجاري ومتابعتها، وخاصة في مدينة زنجبار الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا تسمى (الهرامزة) وذلك يعكس أهمية هذه الجزيرة في مضمار التجارة العالمية[٤٣]، واستناداً على ما ذكره الرحالة الأوروبيون الذين وفدوا على الخليج العربي في النصف الثاني من القرن السادس عشر، فقد اتضح حقيقة ديمومة اشتهار هرمز حيث يشار إليها بكونها مركز معروف في تجارة التوابل[٤٤].

ازدهرت تجارة هرمز الداخلية والخارجية في الربع الأخير من القرن السادس عشر ولعل المعلومات القيمة والوصف الدقيق الذي أورده لنا الرحالة الهولندي (راوولف) أثناء زيارته المنطقة عام ١٥٧٤، ما يظهر طبيعة وحجم الحركة التجارية التي اضطلعت بأدائها هرمز وأثر ذلك على انسيابية البضائع المختلفة في أسواق الخليج العربي، ومما أورده الآتي : "وقد حدث في اليوم الثاني من كانون الأول عام ١٥٧٤م حين كنت في بغداد، أن وصلت إليها خمس وعشرون سفينة موسقة بالأفاويه والعقاقير من الهند بطريق هرمز والبصرة، ومن البصرة تنقل السلع في سفن صغيرة تجلبها إلى بغداد حيث تستغرق السفرة حوالي أربعين يوماً" . وأضاف : "وكان العثمانيون يصدرون الخيول الجميلة فيرسلون عدداً وفيراً منها إلى الهند عن طريق فارس، ولكن معظمها يرسل بطريق هرمز، حيث يتلقى ملك البرتغال كل سنة مبلغاً طيباً من المال بصفة رسوم تبلغ أربعين دوقة[٤٥] لكل رأس من الخيل"[٤٦] .

استأثرت هرمز باهتمام الرحالة الأوروبيين الذين جاءوا الخليج العربي في ثمانينات القرن السادس عشر باعتبارها تشكل عقدة المواصلات التجارية بين الشرق والغرب، ودونوا ما شاهدوه في ملاحظات تبرز تفرد المدينة بالنشاط التجاري وزحمة التجار القادمين إليها وتواجد بعضهم في هرمز بصورة دائمة، فالتاجر الإنجليزي جون نيوبري (John Newbery) الذي وصل البصرة عام ١٥٨٣م يشير إلى معاينته في ميناء الأخيرة لعدة سفن محملة بالبضائع وهي قادمة من هرمز، وأورد ذلك بما يلي : "البصرة مدينة كبيرة واقعة شمال الخليج العربي وذات تجارة عظيمة من جميع الأصناف منها التوابل والحرير التي تأتيها من هرمز، إضافة إلى أنها مستودع للمواد الغذائية كالقمح والأرز والتمور وهي تمون العراق وهرمز وبعض مناطق الهند بالمواد المذكورة"[٤٧]، أما الرحالة الإنجليزي رالف فيتش (Ralph Fitch) الذي جاء هرمز عام ١٥٨٤م فكان شاهد عيان

على الحركة الدءوب التي اضطلع بأدائها ميناء المدينة يومياً في توارد البضائع وتصديرها، ومؤكداً أنه دفع مبلغاً من المال لمسئولي الجمارك ليتسنى له بيع تجارته هناك[٤٨].

وفي رحلة جان فان لنشجتن (Jan Van Linschotens) الذي تجول في الخليج العربي بالفترة ١٥٨٣–١٥٨٨م إشارات مهمة تعزز قناعتنا فيما وصلت إليه هرمز من مكانة متميزة في تجارة الخليج العربي، فقد كتب عام ١٥٨٦م يقول : "وكان تجار البصرة يتوجهون إلى هرمز رغم طول المسافة ومخاطر الطريق البحري باعتبار الأخيرة محطة تجارية مهمة لسكان الخليج العربي"، وحينما وصل ذات الرحالة إلى ساحل أفريقيا الشرقية عام ١٥٨٩م سجل ما شاهده هناك بما يلي : "وجدت في ميناء زنجبار في عام ١٥٨٩م سفينة محملة بالرجال والبضائع ذكر أنها كانت قادمة من هرمز"[٤٩] فيما تصاعدت حركة التجارة الخليجية والدولية انطلاقاً من هرمز باتجاه موانئ شمال الخليج العربي وخاصة البصرة في تسعينات القرن السادس عشر، ولعل ما أورده الرحالة الإنجليزي جون ألدريد (John Eldred) الذي وصل البصرة عام ١٥٩٢م قادماً إليها من حلب، من معلومات ما يجسد حقيقة مفادها أن هرمز غدت نقطة استقطاب للفعاليات التجارية في عموم المنطقة، فهو يقول : "وتأتي إلى ميناء البصرة باستمرار سفن هرمز المحملة بكل أنواع السلع الهندية كالتوابل والنيلة وقماش كلكتا حيث يتم بيعها أو مبادلتها بسلع أخرى"[٥٠].

ولعل من دلالات تنامي سمعة هرمز التجارية هو وصول ثلاثة تجار إنجليز إلى المدينة عام ١٥٩٤م في مهمة استكشافية تهدف لإمكانية معرفة الإفادة من موقع الأخيرة الاستراتيجي لإقامة وكالات تجارية إنجليزية فيها، وتأسيساً على ذلك ووفق ما ذكره الرحالة جان فان لنشجتن (Jan Van Linschotens) فقد قام تجار آخرون بجلب الملابس الهندية والزعفران والسكاكين وأقداح الشراب من السواحل الهندية وبيعها في هرمز محققين أرباحاً طائلة مقابل شرائهم معادن ثمينة ولآلئ وملابس غالية الثمن[٥١]، كما أشار ذات الرحالة إلى وجود وكالات لتجار البندقية في هرمز وجوا وملقا تتولى نقل التوابل والملابس من هذه المناطق بطريق البحر وإيصالها عبر الطريق البري إلى البندقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وأردف يقول : "وكان تجار البندقية يخشون من

منافسة التجـار الإنجليز لهم وهم يقومون بنشـاط تجاري متخذين من هرمز مركزاً لهم"[52]، ومما يعزز ما ذهبنا إليه آنفاً هو ما أوردته وثائق حكومة الهند البريطانية من وصف هرمز كمركز للتجارة بين بلاد فارس والهند، وأنها عدت عاصمة لدولة كبيرة شملت مناطق من سواحل شبه الجزيرة العربية وفارس، إلى جانب اشتهارها بتجارة التوابل والحرير والأدوية وفيها مخزن كبير للؤلؤ الذي يجلب من البحرين[53].

كان من الطبيعي أن يتردد اسم هرمز في أوساط التجارة الآسيوية أواخر القرن السادس عشر رغم محاولات البرتغاليين احتكار تجارة التوابل والسيطرة على الطريق البحري الذي يوصل أنواع البضائع القادمة من أوروبا إلى آسيا وبالعكس[54]، وبحكم موقع الأخيرة الجغرافي في مدخل الخليج العربي فكان ينظر إليها على أنها من أفضل المناطق التي تطل على البحار الشرقية وقتذاك، واشتهر سكانها بسفنهم الخاصة التي كانت تقوم بنقل البضائع المرسلة إلى جوا عند السواحل الهندية، كما تمتع تجارها بسمعة طيبة داخل منطقة الخليج العربي وخارجها، فقد ذكر أن سفنهم لا تُحَمَّلُ أو تُفَرَّغ قبل أن يتأكد ربان السفينة من بضاعته[55]، فيما ظلت هرمز محتفظة بغناها وبأنها كانت تعد سوقاً تجارياً ليس فقط بين بلاد فارس والهند بل بين أوروبا والهند، في وقت يشهد فيه ميناءها مغادرة العديد من السفن وهي محملة بالبضائع باتجاه شمال الخليج العربي لتصل بعد ذلك إلى أسواق العراق والشام[56].

ولعل ما يمكن استخلاصه من ثنايا البحث هو بيان حقيقة بات البرتغاليون يدركونها وهي أن إغلاق البحر في وجه التجارة العربية لن يؤدي في نهاية الأمر إلا إلى تنشيط الطرق البرية التي لا يمكن للبرتغاليين مراقبتها، لهذا لم يعد المسئولون البرتغاليون ينظرون إلى التحكم في هرمز نظرتهم إلى احتلال عدن أو جزر القمر على سبيل المثال، إلى جانب ذلك فإن التجارة عبر الخليج العربي لم تتأثر كثيراً جداً بالتوغل أو التدخل البرتغالي خلال القرن السادس عشر، على عكس الوضع التجاري بالبحر الأحمر، إذ انتعشت تجارة التوابل التي عدت هرمز أحد مراكزها المعروفة خلال العقود الوسطى من القرن المذكـور، وباتجاه نهـاية القرن أصبحت تلك التجـارة أكثر انتعاشاً[57]، كما أظهرت الحقائق السابقة دور هرمز كمركز تجاري يطل على مدخل الخليج العربي والذي لم يقتصر على الاحتفاظ بتجارتها المحلية مع الأقطار الخليجية

فحسب، بل كانت تمثل محطة لتجارة الهند والساحل الشرقي لأفريقيا، مقابل دورها كمعبر رئيسي للتجارة القادمة من أوروبا وسواحل البحر الأبيض المتوسط والمتوجهة إلى بلاد الشرق الأقصى، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي كمنفذ للخليج العربي وباعتبارها أقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفته المنطقة في ذلك الوقت، وهو ما ترك آثاره الإيجابية على تصاعد الفعاليات التجارية التي يمارسها سكان هرمز وكثرة مواردهم المالية، والتي انعكست بجلاء في مظاهر الغنى والترف التي كانوا يحيَوْنها، وتمتع الأخيرة بثراء كبير طيلة الفترة موضوع البحث .

د. صبري فالح الحمدي

الجامعة المستنصرية

الهوامش والمصادر

١ – د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصور التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧–١٨٤٠م، القاهرة ١٩٨٥م، ص٥٣ .

٢ – أداموف، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة د. نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، ع٩، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٧٨م، ص١٠٩ .

٣ – رتشارد جي – ولش، ماركو بولو . مغامراته واستكشافاته، ترجمة حسن حسين إلياس، بغداد، ١٩٥٩م، ص١٩٠ .

٤ – لمزيد من التفاصيل أنظر د. نيقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، بيروت ١٩٦٢م، ص٢٤٠ ؛ قاسم، المصدر السابق، ص٥٤ .

٥ – أنظر أبو عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار، القاهرة ١٩٦٤ م، ص٢٦١ .

٦ – أنظر نصر الله فلسفي، زند كاني شاه عباس الكبير، جـ ٤، ص٢٢٢ .

٧ – عبد الأمير محمد أمين، المراحل الأولى للتنافس بين طرق القوافل القديمة وطريق رأس الرجاء الصالح (في كتاب تكريم الأستاذ عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين)، عمان ١٩٨٨م، ص٢٧١ .

٨ – عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ١٦٢٤–١٧٤١م، بيروت ١٩٧٥م، ص ص ٢٨–٢٩ .

٩ – أنظر قاسم، المصدر السابق، ص٥٧ .

١٠ – الأشرفي يساوي ديناراً عثمانياً .

١١ – أحمد بوشرب، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة الوثيقة، ع٤، س٢، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، الآخر ١٤٠٤هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، ص١٢١ .

١٢ – د. صادق ياسين الحلو، الغزو البرتغالي للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية، مجلة الوثيقة، ع٢٦، س٣، المحرم ١٤١٥هـ/يونيو (حزيران) ١٩٩٤م، ص٦٦ .

١٣ – The Navigation and Voyages of Lewis Vertomannus to the Regions of Arabia, Egypt, Persia, Syria, Ethiopia, and East India, translated of Latin into English by Richard Eden,1576, pp. 98-99.

١٤ – Douglas Carruther, The Desert Route to India, London, 1929, P. XIII.

١٥ – لمزيد من التفاصيل أنظر سونيا ي. هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه د. محمود النحاس، القاهرة ١٩٥٧م، ص ص٢١٣-٢١٤ .

١٦ – Alboquerque, Alfonso; The Commentaries of (Trans into English by W. De Gray Birch Hakisoc, vol. I, London, 1973, p. 115.

١٧ – Johns Hopkins, The Persian Gulf States, London, 1981, p. 20.

١٨ – R.B. Serjeant, The Portuguese Off the South Arabian Coast, Oxford, at the Clarendon press, 1963, p. II.

١٩ – لمزيد من التفاصيل أنظر السيار، المصدر السابق، ص٢٩ .

٢٠ – Faria, Sousa; The History of the Discovery and Conquest of India by the Portuguese, translated into English by John Stevens, vol. I, London, 1894, pp. 131-132.

٢١ – The Travels of Pedro Teixera, with his King of Harmuz and Extracts from his Kings of Persia, Haki. Soc. 1902, p. 20.

٢٢ – لمزيد من التفاصيل أنظر : زين الدين، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، ترجمة دافيد لوبز، لشبونة، ١٨٩٨م،ص ص٦٦-٦٨ .

٢٣ – أنظر د. محمد مرسي عبد الله، الخلفية التاريخية لموانئ الخليج، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٨، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٨ .

٢٤ – Alboquerque; op. cit, pp.116-117.

٢٥ – Carruthers; P. III

٢٦ – بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة المناهل، ع٢٦، س١٠، الرباط، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ/مارس (آذار) ١٩٨٣م، ص ص٧٨-٧٩ .

٢٧ – س. ب. مايلز، الخليج . بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٣ .

٢٨ – M. Ferdinand, Denis; Portugal, Paris, 1846, p.170.

٢٩ – Duart Barbosa, An Account of the countries Bordering on the Indian Ocean other inhabitants, written by Duart Barbosa, and completed about the year 1518 A.D., edited by Mansel Longworth Dames, London, 1918, pp. 69-79.

٣٠ – أنظر الشاطر بصيلي عبد الجليل، الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق أفريقيا والبحر الأحمر، المجلة التاريخية المصرية، مج١٢، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٥م، ص١٣٩ .

٣١ – بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي، ص٥١ .

٣٢ – عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٤، بغداد، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م، ص٤٤ .

٣٣ – لمزيد من التفاصيل أنظر د. صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، وتعليق د. عبد الجبار ناجي، بغداد، ١٩٧٩م، ص ص٣٢-٣٩، ص٩٣ .

٣٤ – Percy Sykes; A History of Persia, vol. II, London, 1930, p. 186.

٣٥ – لمزيد من التفاصيل أنظر أرنولد ت. ويلسون، الخليج العربي، نقله إلى العربية وقدم له د. عبد القادر يوسف، الكويت (د.ت) ص٢٠، ص ص٢١٦-٢١٧ .

٣٦ – أنظر د. إبراهيم خليل أحمد، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، ع٤٣، س١٦، بغداد ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٩ .

٣٧ – كروزادو = عملة برتغالية تعادل ٤٠٠ ريال .

٣٨ – لمزيد من التفاصيل أنظر نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ص١٤٥-١٤٦ ؛ أوزبران، المصدر السابق، ص٤٥ .

٣٩ – لمزيد من التفاصيل أنظر أحمد، المصدر السابق، ص ص٢٩-٣٠ .

٤٠ – أنظر أحمد العناني، البرتغاليون في البحرين وما حولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة الوثيقة، ع٤، س٢، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، ص١٠٧ ؛ أوزبران، المصدر السابق، ص ص٥٥-٥٦ .

٤١ – C.R. Boxer; Portuguese Society in the Tropics, 1500-1800, university Wisconsin, 1965, p. 52.

٤٢ – ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ١، ترجمة ديوان أمير قطر، الدوحة، ١٩٧٦، ص٢٢ .

٤٣ – Serjent; op. cit, p. 11.

٤٤ – أنظر أوصاف تلك الرحلات في كتاب : Richard Hakluyt and the English Voyages by George Bruner Parke, edited by James A. Williamson, New York, 1930.

٤٥ – الدوقة : عملة فينيسية قديمة تعادل الواحدة منها ستة شلنات إنجليزية .

٤٦ – أنظر ليونهارت راوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ١٥٧٣-١٥٧٤م، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٨، ص ص١٧٦-١٧٨ .

٤٧ – The Voyage of M. John Newberry; An English carver voyages and travels mainly during the 16th and 17th Centuries, vol. I, Westminster, 1903,p. 311.

٤٨ – The Voyage at Mr. Ralph Fitch 1583, op. cit, vol. I, p. 322.

٤٩ – The voyages of Jan Huyghen Van Lins chotens, op. cit, vol. II, p. 35, 82.

٥٠ – cit, vol. I, p. 324. The Voyages of Mr. John Eldred, op.

٥١ – The Voyages of Jan Huyghen Van Linschotens, op. cit, vol. I, p.324

٥٢ – Ibid, pp. 324-325.

٥٣ – R. Hughes, Thomas, Selections from the Bombay Government, Historical and other information, connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain and other places in the [Persian] Arabian Gulf [New series, No. XXIV] Bombay, 1850, pp. 28-30.

٥٤ – Holden Furber, Rival Empires of Trade in the Orient 1600-1800, Oxford University press, 1976, p. 3.

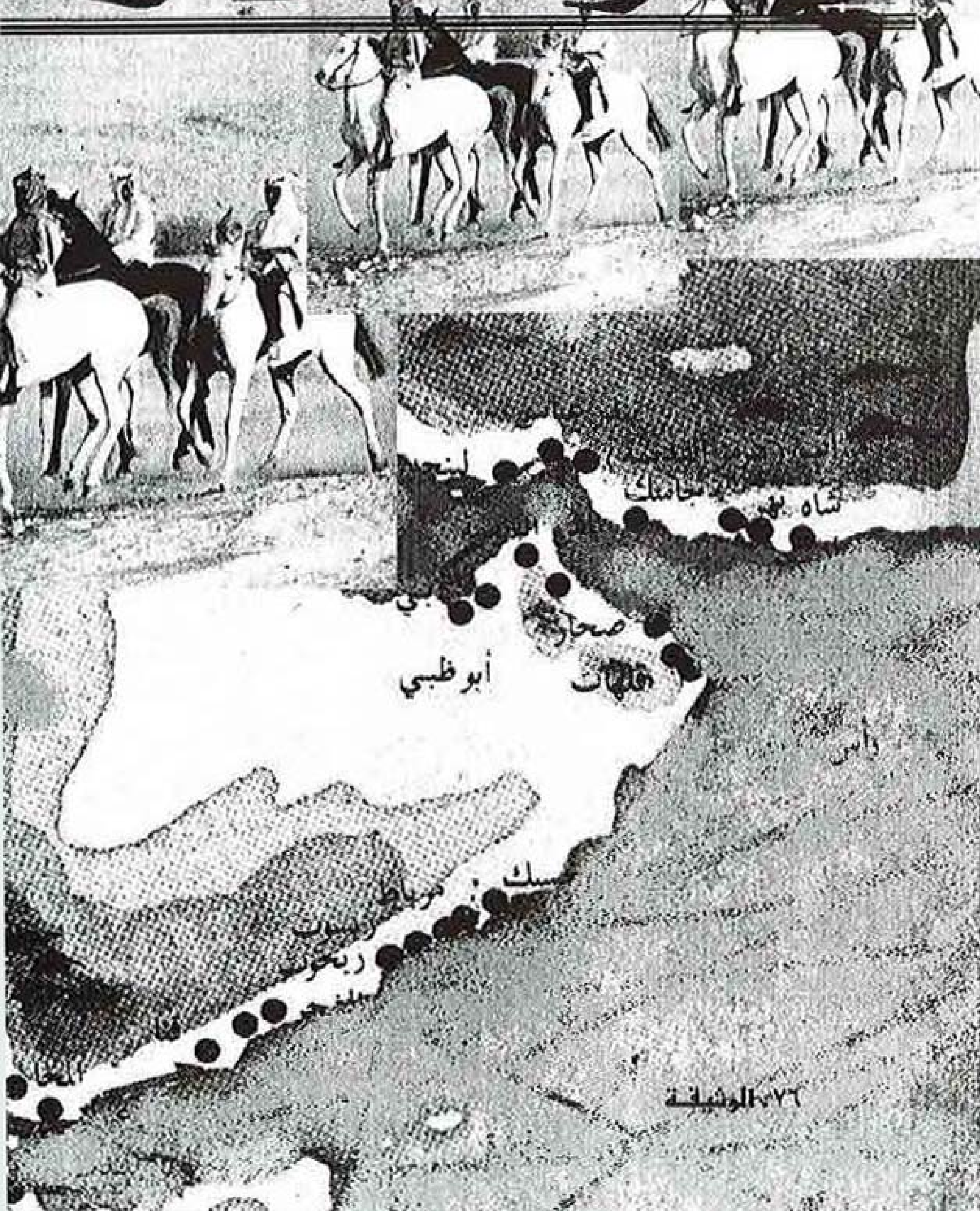
٥٥ – Niles Steen guard; The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century, the University of Chicago press, p.2000.

٥٦ – لمزيد من التفاصيل أنظر

The Travels of Pietro Della Valle in India, from the old English Translation of 1664, by G. Havers, edited by Edward Gray, London, 1892, p. 2.

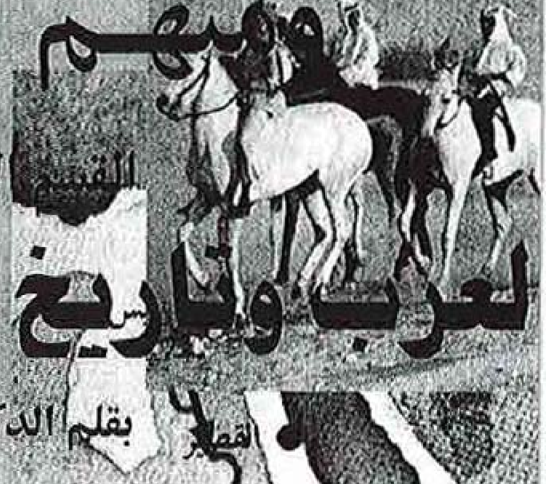
٥٧ – بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي، ص٧٧ ؛ أوزبران، المصدر السابق، ص٦٠ .

الإمارات العربية



ة عبر التاريخ

منهم الهولة



القسم الأول :

العرب وتاريخ التسمية

بقلم الدكتور علي أباحسين

إن كلمة (عربي) مشتقة من أصل سامي بمعنى (الغرب) أطلقه سكان ما بين النهرين على الشعوب القاطنة غرب – وادي الفرات – . وهذا الاشتقاق عرضة للشك إذ يقوم على أساس لغوي خالص . وتؤكد التوراة بأن جد العرب (سام بن نوح) وقد سكنوا الجزيرة العربية والهلال الخصيب .

ودعتهم – التوراة – (عرابا) وتعني سكان الأرض السوداء أو – الحرات – كما تدل على البداوة أو سكان البادية . ووردت كلمة (عيرب) أي الحياة غير المستقرة، أو كلمة (عابار) وتعني انتقل أو مر، ووردت جملة : (ولا يخيم هناك (أعرابي) . وفي (التلمود) أريد بالعرب (الأعراب) .

قال بعضهم، إن أول من أنطقه الله بلسان العرب، هو (يعرب بن قحطان) وهو جد اليمنيين من العرب العاربة، ونشأ (إسماعيل بن إبراهيم) معهم فتكلم بلسانهم فسمي هو وأولاده — العرب المستعربة — . ولعل كلمة (عرب) مشتقة من (أعرب) أي : أبان وأفصح .

وأقدم نص وردت فيه كلمة (عرب) هو نص للملك الأشوري (شلمنصر) الثاني حوالي٨٥٣ ق.م — وسجل (سرجون الثاني) ٧٢٢-٧٠٥ ق.م أنه في السنة السابعة من حكمه، أخضع من قبائل — ثامود — وهي (ثمود) وقدم أهـل الجنوب من — عـرب اليمن — جزية للأشوريين حيث وجدت عبارة (ماتو اربي) أي (أرض اربي) — أرض العرب —، وكذا (شلمنصر الثالث) كان في حرب مع ملك — دمشق — وحليفه (جندب) العربي، الذي كان معه ألف جمل . وكان العرب يضايقون الأشوريين بتعرضهم للتجارة فجهز لهم الملك الأشوري (سنحاريب) وكذا (أشور بنيبال) حملات عسكرية لتأديبهم وهنا ورد اسم العرب في القرن السابع قبل الميلاد .

ووردت كلمة (أربابه) مكتوبة على حجر (بهستون) الذي دون عليه انتصارات الملك الفارسي (دارا) أو داريوس باللغات الثلاث (العربية والفارسية والمسمارية) وكتبت كلمة (أربابه) وتعني العربية .

وفي اليونانية أورد كلمة — العرب — الأديب (أوسكيلوس ٥٢٥-٤٥٦ ق.م) وهو يشير إلى ضابط عربي في جيش (احشويرش) .

و (هيرودوتس) اليوناني المتوفى — ٤٢٥ق.م — أورد كلمة (أربي) ويقصد بها سكان شبه الجزيرة العربية كلها .

وفي القرآن الكريم وردت كلمة (عربي) عكس أعجمي، وكذا الأعراب، البدو . فقد وردت كلمة عربي إحدى عشرة مرة ولكنها لا تعني الجنس ولا الشعب بل تعني الإبانة والوضوح .

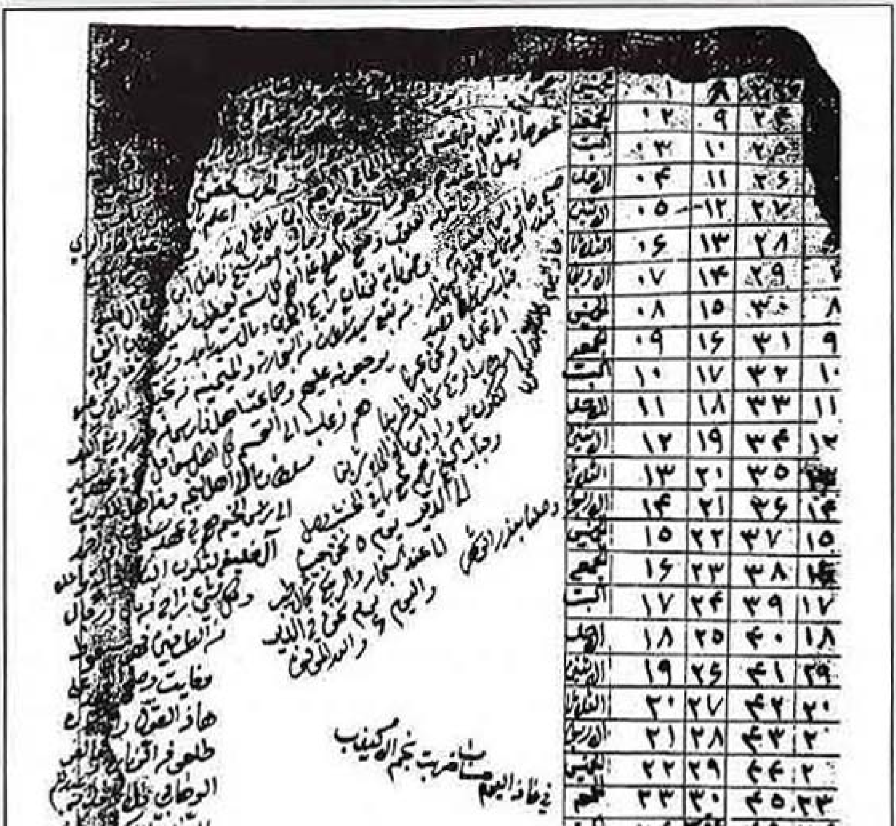
وفي لسان العرب قوله : أن (عرب) جيل من الناس نسبة إلى بلدة (عربه) في (تهامة) نشأ فيها أولاد إسماعيل عليه السلام . وقيل (عربات) بلدة أو قرية في (وادي نخلة)[1] .

وتنتهي جزيرة العرب في الشمال والشرق والغرب بأقاليم غنية خصبة تحيط بشبه الجزيرة بهيئة نصف دائرة أو هلال أطلق عليه (الهلال الخصيب) . والجزيرة العربية موطن الساميين الذين نزحوا منها كأقوام وشعوب بشكل هجرات أو موجات متعاقبة في أزمان مختلفة فكونوا حضارات ذات شأن كبير بتاريخ العالم في العهد السومري والأكدي في حوالي ٢٣٥٠ ق.م واتصالها بحضارة دلمون ومجان (عمان) مصدر النحاس في حوالي منتصف الألف الثالث ق.م .

وهاجر العرب من بلادهم سواء من الجزيرة العربية والحجاز أو من العراق والشام واليمن أو غيرها إلى الساحل الشرقي للخليج العربي . أو إلى بلاد فارس وشبه القارة الهندية أو بلدان الشرق الأقصى والصين .

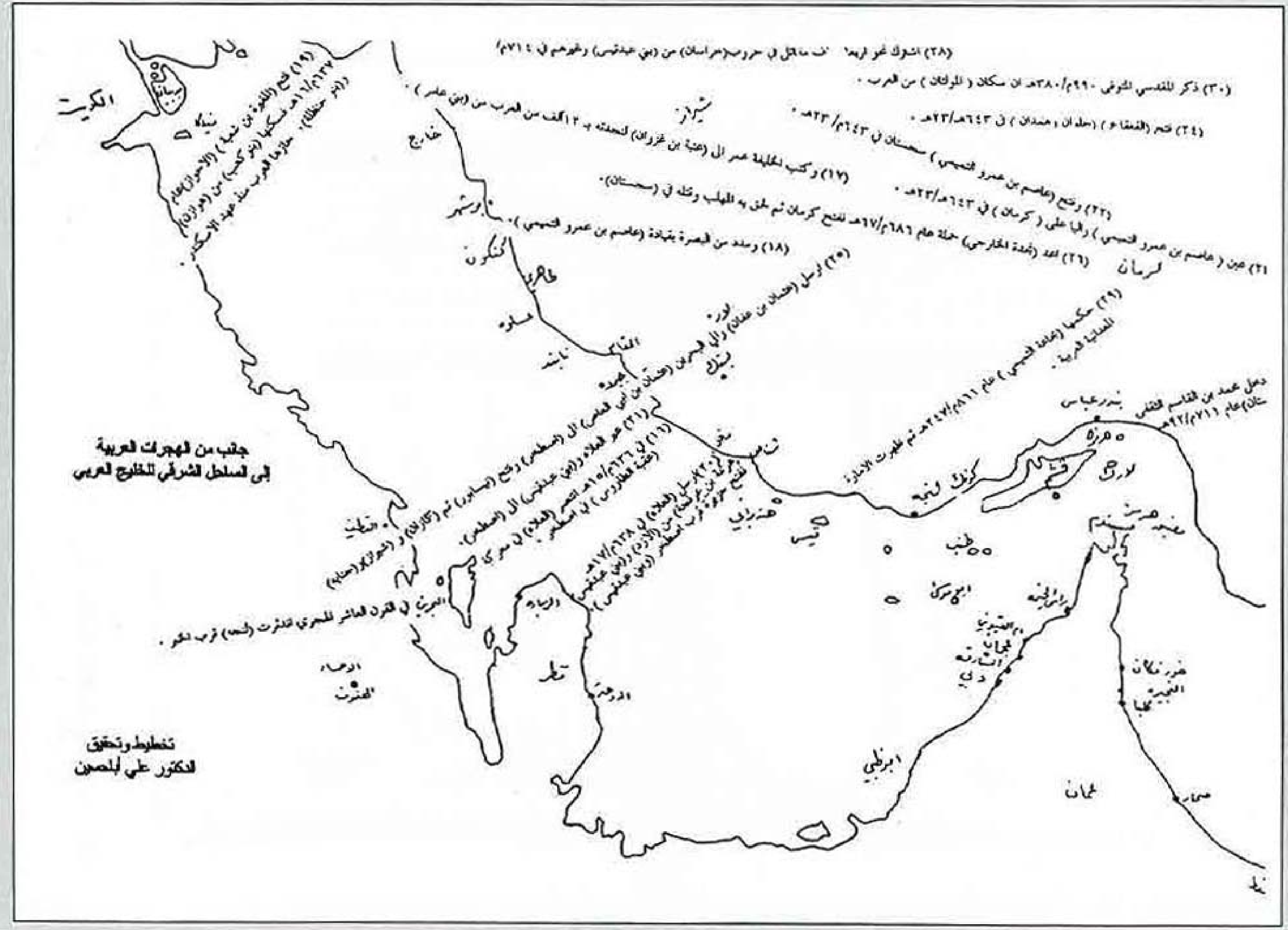
هكذا الأمم والشعوب والقبائل بطونها وأفخاذها وأسرها وحتى الأفراد ينتقلون من موضع لآخر طلباً للعيش، أو رهبة من ظلم، أو رغبة في طلب العلم، أو نحو ذلك . والتاريخ مليء بالأحداث التي أدت إلى رحيل الأقوام والأفراد من دولهم أو مدنهم وفرارهم إلى دول أخرى يجدون فيها الطمأنينة في العيش والأمن على أنفسهم وأهلهم وأموالهم . ويحدثنا التاريخ القديم عن الهجرات الجماعية أو التهجير من مواضع كان المناخ فيها معتدلاً والمطر غزيراً والتربة صالحة والأنهار جارية، أو بالعكس لأسباب كثيرة نستعرض طرفاً منها . كما أن هناك (هجرة معاكسة) من تلك الأقطار التي ذكرناها إلى الجزيرة العربية . ولكلا الهجرتين دوافع أو عوامل أدت إلى هجرة الأفراد أو الجماعات ومنهم (**الهولة**) ومن هاتيك العوامل :

١ — **القرب الجغرافي** بالنسبة للساحل الشرقي للخليج العربي، وكذا معرفة العرب الملاحية وخبرتهم في مواعيد هبوب الرياح واتجاهاتها، ومسالك الخليج ومجاريه وجزره وهيراته . فقد رسموا الخرائط الملاحية الدقيقة وكتبوا المرشدات والطرق البحرية بين الساحلين حول ركوب البحار مستخدمين الآلات وعلم الفلك . كما أن المعرفة السابقة بالخليج وسواحله الشرقية من قبل عرب الخليج أدت إلى تبادل الهجرات، خاصة إذا علمنا أنه لم تكن هناك جوازات ولا موافقات فلا مانع من الانتقال بين الساحلين الشرقي والغربي للخليج العربي .



[illegible]	٢٣	٨	١	[illegible]
[illegible]	٢٤	٩	٠٢	الجمعة
[illegible]	٢٥	١٠	٠٣	السبت
[illegible]	٢٦	١١	٠٤	الأحد
[illegible]	٢٧	١٢	٠٥	الاثنين
[illegible]	٢٨	١٣	٠٦	الثلاثاء
٧	٢٩	١٤	٠٧	الأربعاء
٨	٣٠	١٥	٠٨	الخميس
٩	٣١	١٦	٠٩	الجمعة
١٠	٣٢	١٧	١٠	السبت
١١	٣٣	١٨	١١	الأحد
١٢	٣٤	١٩	١٢	الاثنين
[illegible]	٣٥	٢١	١٣	الثلاثاء
١٤	٣٦	٢١	١٤	الأربعاء
١٥	٣٧	٢٢	١٥	الخميس
١٦	٣٨	٢٣	١٦	الجمعة
١٧	٣٩	٢٤	١٧	السبت
١٨	٤٠	٢٥	١٨	الأحد
١٩	٤١	٢٦	١٩	الاثنين
٢٠	٤٢	٢٧	٢٠	الثلاثاء
٢١	٤٣	٢٨	٢١	الأربعاء
[illegible]	٤٤	٢٩	٢٢	الخميس
٢٣	٤٥	٣٠	٢٣	الجمعة
٢٤	٤٦	١	٢٤	السبت
٢٥	٤٧	٢	٢٥	الأحد
٢٦	٤٨	٣	٢٦	الاثنين
٢٧	٤٩	٤	٢٧	الثلاثاء
٢٨	٥٠	٥	٢٨	الأربعاء
[illegible]	٥١	٦	٢٩	الخميس
[illegible]	٥٢	٧	٣٠	الجمعة
[illegible]	٥٣	٨	٣١	السبت

مخطوط عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز أهل البحر . لمؤلفه جابر بن عبد الخضر



جانب من الهجرات العربية
إلى الساحل الشرقي للخليج العربي
الكويت
شيراز
كرمان
بندر عباس
هرمز
لنجة
قيس
طنب
قطر
الدوحة
ابوظبي
عمان

٥٩

أيام	[illegible]	سبتمبر	نوروز بحري	جمادى الأول
الثلاثا	١	٠٩	٣٥٨	٠١
الاربعا	سبتمبر ٢	١٠	٣٥٩	٠٢
الخميس	٠٣	١١	٣٦٠	٠٣
الجمعة	٠٤	١٢	٣٦١	٠٤
السبت	٠٥	١٣	٣٦٢	٠٥
الاحد	٠٦	١٤	٣٦٣	٠٦
الاثنين	٠٧	١٥	٣٦٤	٠٧
الثلاثا	٠٨	١٦	٣٦٥	٠٨
الاربعا	٠٩	١٧	اول اليوم نوروز	٠٩
الخميس	١٠	١٨	٠٢	١٠
الجمعة	١١	١٩	٠٣	١١
السبت	١٢	٢٠	٠٤	١٢
الاحد	١٣	٢١	٠٥	١٣
الاثنين	١٤	٢٢	٠٦	١٤
الثلاثا	١٥	٢٣	٠٧	١٥
الاربعا	١٦	٢٤	٠٨	١٦
الخميس	١٧	٢٥	٠٩	١٧
الجمعة	١٨	٢٦	١٠	١٨
السبت	١٩	٢٧	١١	١٩
الاحد	٢٠	٢٨	١٢	٢٠
الاثنين	٢١	٢٩	١٣	٢١
الثلاثا	٢٢	٣٠	١٤	٢٢
الاربعا	٢٣	٣١	١٥	٢٣
الخميس	٢٤	سبتمبر	١٦	٢٤
الجمعة	٢٥	٢	١٧	٢٥
السبت	٢٦	٣	١٨	٢٦
الاحد	٢٧	٤	١٩	٢٧
الاثنين	٢٨	٥	٢٠	٢٨
الثلاثا	٢٩	٦	٢١	٢٩
الاربعا	٣٠	٧	٢٢	٣٠

ليلة هذا اليوم بعد ساعتين واربعين دقيقة هل علينا الأول جماد بنت ثاني ابن [illegible]

[illegible] ابن عبدالله [illegible] علي بيان [illegible] جابر

كملت هذه السنة بحول الله تعالى وقدرته [illegible]

ودخلت هذه السنة وهو اول اليوم من حساب نيروز اهل العرب ١٣٤١ [illegible]

[illegible] ركب من بندر [illegible] في مركبنا الكبير مع [illegible] [illegible]

[illegible]

صبح هذا اليوم [illegible]

صبح هذا اليوم [illegible]

[illegible] وخلي [illegible]

مغيب هذا اليوم [illegible]

[illegible]

والهولة : ومفردها المنسوب إليهم (هولي) . وأصل هذه الكلمة من (تحول) أي انتقل من مكان لآخر . ولما كانت بعض اللغات لا يوجد في حروفها حرف (الحاء) فينطقونها (هـ) فأصبحت تلفظ ثم تكتب (هوله) . والتسمية اصطلاحية لمن انتقل من الساحل الشرقي للجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وعاد بعضهم إلى الساحل الغربي للخليج، وشاركوا أبناءه في السراء والضراء وهم مواطنون في الوطن الذي يسكنونه يناضلون في سبيل استقلاله مع إخوانهم العرب الآخرين، ويتمذهبون بالمذهب الشافعي أو المالكي أو الحنبلي أو الحنفي ويعملون في الغالب بالتجارة بصورة خاصة[٢] وكثير منهم طلبوا العلم وعلموه .

وقد تصاهر الوافدون من الجزيرة العربية عبر التاريخ مع سكان الساحل الشرقي للخليج نتيجة لتهجيرهم أو للفتوحات الإسـلامية أو لعوامل ذكرناها أدت لهجرتهم منها :

العامل الاقتصادي، أو الظروف الطبيعية، أو العامل الديني، أو السياسي، أو القرب الجغرافي، أو غيرها. وذكر بعض النسابين أن من القبائل العربية من ينتسب إليها بعض الهولة[٣] . ومن الهولة من كان يحكم موانئ أو مدن أو جزر في الساحل الشرقي للخليج العربي مثل : لنجة وكونك وعسيلوه وبوشهر وعربستان وبندر عباس ومكران وقيس وغيرها .

ومنهم من حكم (البحرين) قبيل حكم آل خليفة عام ١١٨٧هـ/١٧٨٣م وهم (آل مذكور) وهم من عرب مطاريش عمان، وعرب (القواسم) الذين حكموا (لنجه) وما حولها، وكذلك الحرمي أو (الهرمي) . أو عرب بستك وجهانكيريه وغيرهم، ومنهم من عاد إلى الساحل الغربي للخليج[٤] .

ولاشك أن الحضارات العظيمة تؤثر في بعضها البعض وذلك عن طريق الاتصالات التجارية والصناعية والحملات العسكرية . فقد ذكر بطليموس (٩٠-١٦٨م) اسم جبل في (كرمان) سماه (سميراميس) . ومعلوم أن سميراميس ملكة أشورية واسمها (سامورامات) ومعناها (سيدة البلاط)، عاشت في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد، ونسجت حولها الأساطير . وقد عثر على تمثال لها في (نمرود) في شمال العراق[٥] فكيف هاجر الاسم من العراق إلى جبل كرمان ؟ وفي العصور الوسطى كانت اللغة العربية أعظم قوة ثقافية ولغوية

في العالم آنئذ فأثرت في اللغات الأفريقية والأوروبية والهندية والأردية فمثلاً : أخبار . خبر . عدالة . وكيل . قانون . فقه . منشئ أو كاتب رسائل . منصف . قرار . مزاد . شرط . قيد . مقاطعة . رئاسة . حكومة . غريب . فقير . غزل . ربيع . خـــريف . تاريخ . وقت . قتل . عزة . فوج . وكلمات كثيرة أخرى . ولغة (التاميل) كما يقول (ميناكشي سندرام) : تبنى مسلمو ولاية (تاميل فادو) اللغة العربية . وطوروا علامات لغة خاصة بهم سموها اللغة العربية في تاميل لكي يتمكنوا من قراءة القرآن باللغة العربية . أما اللغات الهندية الآرية التي استعملت الحروف العربية بالإضافة إلى الفارسية فهي الأردية والسندية والباشتوية والبنجابية والكشميرية والكوجاراتية التي يتكلمها مسلمو البهرة . والكوكانية لغة المسلمين الكوكان . والناويتية التي تشبه اللغة الكوهانية ويتكلمها مسلموبهانكال في شمال ولاية كيرالا[٦] . وفي اللغة الإندونيسية العصرية (بهاسا) مئات من المفردات العربية منها مفردات دينية وأخرى علمية ثم فنية واجتماعية . ومثلها الصينية ولغات أخرى .

هذا، وقد كان لمعرفة اللغة العربية من قبل سكان تلك الديار كبير الأثر في هجرة العرب إليها . وهنا أصبحت معرفة اللغة العربية نتيجة للهجرات، وفي نفس الوقت هي من الأسباب التي ساعدت على هجرة العرب إلى تلك البلدان التي يسود فيها من يعرف اللغة العربية، وبالتالي استقرارهم فيها . وهذا ينطبق تماماً على سكان الساحل الشرقي للخليج العربي حيث أن اللغة العربية مع اللغة المحلية هي لغة التفاهم والاقتصاد والثقافة . وفرض الخط العربي نفسه على الخط الفارسي . واقتضت حياة المجتمع في موانئ الخليج إلى تعليم أبناء التجار القرآن الكريم والحساب والخط . وتكونت جاليات إسلامية وعربية، وصاحب ذلك طلب العلم خاصة في زمن الدولة الأموية والعباسية حتى أصبح كثير من العجم عرباً — أصبحوا عرباً بلغتهم وثقافتهم وحبهم للعرب وتربيتهم الإسلامية . وهذا مما دفع (الدكتور ناجي معروف) أن يؤلف كتاباً بعنوان (عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية) . وجاء الجزء الأول منه عن العلماء المنسوبين إلى خراسان ويقع في نحو ٥٠٠ صفحة، وهو جزء من ستة أجزاء تناول الحديث فيها عن عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية، وإن كان غرض المؤلف تفنيد رأي (ابن خلدون) الذي عقد فصلاً في مقدمته بعنوان : (إن أكثر العلماء في الإسلام من العجم) .

وكذا أضاف المؤلف كثيراً من العلماء العجم ممن أصبحوا عرباً بلغتهم وثقافتهم وولائهم وحبهم للعرب وتربيتهم الإسلامية . وهذا الكتاب يدلل على أن حملة العلم في الإسلام كلهم من العرب لا الموالي، كما زعم ابن خلدون وحاجي خليفة وغيرهما ممن قلدهم من المستشرقين[٧] .

ومن هؤلاء العلماء :

أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء أصله من أبناء فارس توفي عام ١٥٠هـ .

وداود الطائي الخراساني وهو عربي من طنجة توفى عام ١٦٥هـ .

ومسلم بن الحجاج النيسابوري عربي من شقير توفى عام ٢٦١هـ .

وعبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى ٤٧٨هـ .

وابن خردانبة وهو عبيد الله بن أحمد الفارسي الأصل المتوفى ٢٨٠هـ .

وأن عدد من نسب إلى (نيسابور) من العلماء العرب ١٩٦عالماً، وما نسب إلى (مرو) ٨٠ عالما[٨] .

ومن العلماء العرب في شيراز (إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن المثنى الباهلي الشيرازي) و (المعلى بن النظر) وهو عراقي الأصل عمل كاتباً للحسن بن رجاء ومات في شيراز . ومن البيوتات (آل حبيب) و (آل أبي صفية) من موالي باهلة، وبني مازن كما استقر في شيراز الهاشميون والعلويون .

وابن المقفع الذي انحدر من أب فارسي مجوسي مولود في مدينة (جور) الفارسية عام ١٠٦هـ وفي قول (كرد علي) أنه مولود في ٩٥هـ وتلقى علومه في البصرة واتهم بالزندقة والإلحاد والمجوسية والمانوية، وتأثر بثقافة الهند عن طريق كليلة ودمنة المترجم إلى الفارسية . ومن قوله :

إصلاح الرعية من إصلاح الراعي، وإذا صلح صنفانٍ صلح الناس كلهم العلماء والسلطان وإن بطانة الحاكم تلعب دوراً سلبياً أو إيجابياً عند الحاكم والرعية على السواء .

أما عبد الحميد الكاتب بن يحيى (مولى) العلاء بن وهب العامري (ت : ١٣٢هـ/ ٧٥٠م) وكتابه (المرايا والآداب والوصايا)فهو من المترجمين في عهد الخليفة المنصور .

وكان والده من الموالي (من سبي القادسية) وينسب إلى أصل فارسي، وقتل في عهد مروان بن محمد في معركة الزاب ٧٥٠م . له كتاب (نصيحة إلى ولي العهد) و (رسالة إلى الكتاب) وأنه عالم بالسياسة والإدارة والحرب . كتب رسالة لولي العهد عام ١٢٩هـ وهي من مروان لابنه وولي عهده عندما أرسله لمحاربة الضحاك الذي أعلن خروجه عن طاعة الخليفة واستيلائه على الموصل ١٢٧هـ وفيها قوله : **الحاجة إلى الرأي والحكمة من السلف وهي نعمة من الله . وأن رأس الحكمة تقوى الله ومعاداة الهوى . وسياسة النفس وتدبيرها . وحسن اختيار الخواص والأعوان . والتدبر معهم ومع العامة . وحسن اختيار الحاجب ودوره، فهو حلقة الوصل بين الحاكم والرعية، والحذر من الوشاية والنميمة، والوقار في المجالس، والأخذ بالمشورة وآداب المؤاكلة والمنادمة، وتفقد أمور العامة . . .الخ**[٩] .

وشهد القرن الخامس الهجري علاقات وطيدة بين بغداد ومكة ومن مشاهير علماء الحرم المكي الشريف في القرن الخامس الهجري (عبد الله بن أحمد بن أبو ذر الهروي) الحافظ المتوفى سنة ٤٣٤هـ وقد كانت إقامته بمكة . والهروي نسبة إلى (هراة) في خراسان، وتزوج من العرب على حد قول ابن الأثير وأقام بالسروات . والسروات جبال في الحجاز وكان يحج كل سنة يحدث في الموسم ويعود إلى أهله وصحب القاضي أبا بكر الباقلاني[١٠] .

واهتم نظام الملك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بتأسيس المدارس النظامية فأسس مدرسة نيسابور وجعل المذهب الشافعي مذهباً رسمياً للدولة بينما كانت الدولة السلجوقية تدين بالمذهب الحنبلي . ويذكر المؤرخون أعلام العلماء في مدينة نيسابور وقد بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف عالم يزيد على نصفهم من أهل نيسابور والباقي من سبعين بلداً إسلامياً جاءوا لتحصيل وإتمام معارف زمانهم، وجذبت العلماء ومنهم الإمام (محمد الغزالي) (ت ٥٠٥هـ) وأخوه الإمام (أحمد). والغزالي نسبة إلى غزالة وهي قرية بطوس، وإمام الحرمين (الجويني) (ت ٤٥٦هـ) للتدريس وتأسيس مدرسة نظامية بنيسابور حتى وفاته وقضى ٢٢سنة من حياته في التدريس . أما ابن خلكان فيجعلها ٣٠ سنة في التدريس . ثم (القشيرى) (ت ٤٦٥ هـ) . ورغم تعرض نيسابور للزلازل والفتن المذهبية والطائفية فقد استعادت مكانتها العلمية[١١] .

وهاجر بعض علماء المدرسة النظامية ببغداد هاجروا إلى نظامية (نيسابور) في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على أثر حدوث فتن طائفية ومذهبية وإقليمية، ثم تلتها (هجرة معاكسة) حين حدثت فتن التركمان والغز وحملات المغول التتر المحرقة والزلازل التي تعرضت لها نيسابور وكان أشدها عام ٦٠٥هـ .

وينتسب غالبية سكان الساحل الشرقي للخليج العربي لأصول عربية وهذا ما تثبته المصادر التاريخية من وثائق ومخطوطات ونصب وآثار لازالت تحكي ذلك التاريخ وسوف نستعرض جانباً منها .

فقد مرت على البلاد العربية الإسلامية ظروف سياسية واقتصادية أدت إلى هجرة كثير من سكانها صوب المشرق والمغرب ولعل من أهم تلك الظروف ضراوة ما تعرضت له دار الخلافة العباسية (بغداد) خاصة والبلاد العربية عامة من هجوم المغول (التتر) وما خلفته من دمار للحضارة العربية الإسلامية من قتل وتشريد . حتى الكتب لم تسلم من أيديهم فقد أحرقوا المكتبات ورموا بالكتب في نهر دجلة وعملوا عليها جسراً وتحول ماء النهر إلى لون الحبر . وهاجر بعض بني العباس إلى الجنوب حين تقدم الزحف المغولي نحو الدولة العباسية ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ووجد بعضهم الأمان والاستقرار في ظل حكومة الأتابك سعد بن زنكي في شيراز ومن هؤلاء من سكن بستك وجهانكير على الساحل الفارسي . وكان الشيخ عبد السلام خنجي (ت ٧٤٦هـ) وشمس الدين شيخ حاجي محمد خنجي والشيخ راشد المدني وعلي أكبر بيام ومصطفى راشد الخان ومصطفى عبد اللطيف بالبحرين ومحمد علي من العلماء في دبي وآخرون .

وفي القرن الثامن الهجري كان من علماء (كرمان) الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي ومنهم الكرماني (٧١٧-٧٨٦هـ/١٣١٧-١٣٨٤م) وهو محمد بن يوسف بن علي كرماني عالم الحديث، أصله من (كرمان) في بلاد فارس تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة وألف كتباً كثيرة[١٢] .

ومن العوامل التي ساعدت على الهجرات إلى الساحل الشـرقي للخليج العربي : ظهور ونمو وتطور الموانئ والمدن الساحلية واستقلالها عن بلاد فارس في حقب كثيرة من التاريخ، فتوطدت العلاقات الاقتصادية والسياسية بين سكان الساحلين الشرقي

والغربي للخليج . وتأثرت الثقافة باستخدام اللغتين العربية والفارسية في الأعمال التجارية والملاحية فظهرت مفردات متبادلة في كلتا اللغتين[١٣] .

فقد عرب العرب أسماء بعض المنتجات الهندية مثل (الهيل) وهي لفظ فارسي وعرب (بحب الهان) في بعض البلاد العربية وموطنه راس هيلي على الساحل الغربي بجنوب الهند[١٤] .

وكان من نتائج عمق الصلات الحضارية بين سكان الساحلين التسميات العربية لموانئ وجزر الساحل الشرقي مثل : (عربستان) والتي حرفت إلى (خوزستان)[١٥] .

حتى الدروب والسكك العربية في (شيراز) المدينة التي بناها محمد بن القاسم الثقفي (٦٢-٩٨هـ/٦٨١-٧١٧م) فقد سميت دروبها بأسماء عربية أو سميت بأسماء أبرز رجالها العرب مثل : (درب أسلم) و(درب غسان) و (دار الإمارة) التي سميت (بدار حراب ضرار المازني)[١٦] .

وجزيرة (قيس) نسبة إلى (قيس بن كرزاز بن سعد بن قيص)[١٧] وحرفت فيما بعد إلى (كيش) أو (كين)[١٨] . وأورد (ياقوت) المتوفى عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م في معجمه وهو يتحدث عن جزيرة (قيس) فيقول : وتقع في بحر عمان، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان، وله ثلث دخل البحرين وفيها جزائر كثيرة حولها، وكلها لملك كيش (قيسٍ) . ورأيت فيها جماعة من أهل الدين والفقه والفضل . وكان بها رجلٌ صنف كتاباً جليلاً (فيما اتفق لفظه وافترق معناه) وهو كتاب ضخم رأيته بخطه في مجلدين ضخمين ولا أعرف اسمه الآن[١٩] . وقيل أما (قيس) فجزيرة تسمى كذلك نسبة إلى (قيس بن عميرة) وهي في أيامنا هذه قبل عام (٥٣٨هـ) وهي أعمر موضع في بحر فارس وبها مقام سلطان البحر وهو الملك المستولي على تلك الأراضي[٢٠] .

وفي ٧١٩هـ/١٣١٩م وصل (قطب الدين) إلى (قيس) وأسر (غياث الدين) وقتله[٢١]، وفي ٧٨٦هـ/١٣٨٤م فرضت حكومة (قيس) الهزيمة على البحرين والقطيف وعقدت اتفاقية السلام بين (غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشير) حاكم (قيس) وحكومة البحرين فدفعت البحرين ضريبة لقيس[٢٢] .

ولما زار الرحالة (ابن بطوطة) جزيرة (قيس) في ٢ رجب عام ٧٢٥هـ الموافق ١٣٢٥م قال : إنها تسمى (سيراف) وإن فيها طائفة من عرب (بني سفاف) وهم الذين يغوصون

على الجوهر، وأنه زار السلطان (قطب الدين تهمتن بن طوران شاه) سلطان (هرمز)، وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الأخلاق[٢٣] .

ومن العوامل التي ساعدت على الهجرات المستمرة أفراداً أو جماعات هو (**العامل الديني**)، فالدين الإسلامي دعا إلى الجهاد لنشر الدعوة والدفاع عن معتنقيها وفي حديث وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال: حدثني أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من عبد القيس عام ٨هـ/٦٣٠م قال وأهدينا له فيما يهدى موطاً أو قربة من تعضوض أو برني فقال ما هذا؟ قلنا هذه هدية قال : وأحسبه نظر إلى تمرة فأعادها مكانها وقال : أبلغوها آل محمد، قال : فسأله القوم عن أشياء حتى سألوه عن الشراب فقال : لا تشربوا في (دباء)[٢٤] ولا (حنتم)[٢٥] ولا (نقير)[٢٦] ولا (مزفت) اشربوا في الحلال الموكي عليه، فقال له قائلنا : يا رسول الله وما يدريك ما الدباء والحنتم والنقير والمزفت قال : (أنا لأدري ما هي أي هجر أعز ؟) قال : (فوالله لقد دخلتها وأخذت اقليدها)[٢٧] قال : وكنت (قد وقفت على عين الزارة) . ثم قال : (اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين غير خزايا ولا موتورين) إذ بعض قومنا لا يسلموا حتى يخزوا ويوتروا . قال وابتهل وجهه هنا من القبلة يعني عن يمين القبلة حتى استقبل القبلة ثم يدعو لعبد القيس . ثم قال : (إن خير أهل المشرق عبد القيس) .

ولعبت عبد القيس دوراً في حروب الردة والفتوحات الإسلامية خاصة في الساحل الشرقي من الخليج العربي .

وحدثنا . . . أن (الأشج) وهو (المنذر بن عايذ) قدم مع قومه إلى النبي فأقعده عن يمينه وسأله (الأشج)عن بلاده وسمى له قرية (المشقر والصفا وغير ذلك من قرى هجر) فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت أعلم بأسماء قرانا منا فقال : (إني قد وطئت بلادكم وفسح فيها) قال ثم أقبل على الأنصار فقال : (يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام وأشبه شيء بكم شعاراً وإبشاراً أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورين إذ أبى قوم أن يسلموا حتى قتلوا . .) إلى أن قال ﷺ : (أتسمون هذا (التمر التعضوض) قلنا نعم . ثم أومأ إلى صبرة (تمرة) أخرى فقال : (أتسمون هذا الصرفان ؟) قلنا نعم . ثم أومأ إلى صرة أخرى فقال : (أتسمون هذا البرني؟) قلنا نعم . قال : (أما

أنه خير تمركم وأنفعه لكم) قال فرجعنا من وفادتنا تلك فأكثرنا الغرس منه وعظمت رغبتنا فيه حتى صار عظم نخلنا وتمرنا (البرني)[٢٨] .

واعتنقت المدن والموانئ الفارسية الإسلام وخاصة أصحاب المهن والحرف، ثم ساد الإسلام في ربوع الدولة الفارسية وفي خارجها . ومثل ذلك في (الهند) فقد زار الرحالة (ابن حوقل) المتوفى بعد ٣٦٧هـ زار الهند وقال : اشتهرت (المولتان) بعلمائها المسلمين وطلاب العلم وذلك بعد الفتح الإسلامي المبكر . وكانت فيها معابد كثيرة يحج إليها الوثنيون ويقدمون قرابينهم من الذهب إلى صنم كبير فيها سمي (المولتان) وأطلق اسم المدينة باسمه، وتعني هذه التسمية (فرج بيت الذهب) . وعلى إثر استقرار التجار العرب في (الديبل) و (المنصورة) فقد انتشر اللسان العربي والدين الإسلامي وبعض العادات الاجتماعية العربية فيهما .

ولما زار المسعودي (ت : ٣١٤هـ) بعض جهات الهند ومنها (كيرالا)دوّن مشاهدته فقال : في الهند جوامع معمورة بالمصلين وتزاوج المسلمون مع أهلها . وقد دخلها الإسلام مبكراً وذلك بعد فترة قصيرة من إعلان الدعوة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ إذ سبق دخولهم الإسلام للفتح الإسلامي الذي قاده (محمد بن القاسم الثقفي) ما بين ٦٢-٩٨هـ .

وفي كورة (أرجان) قرب الأهواز استقر فيها العرب من قبيلتي (حنظلة من تميم) و (بكر بن وائل) وذلك منذ زمن بعيد . وفيها نقيب العلويين من ذرية جعفر الصادق واسمه زيد بن الحسين وأخيه، وابن أخيه أبو جعفر محمد وكثير من العرب . وبنوا المساجد والجوامع، فقد بنى عامل الحجاج بن يوسف الثقفي مسجداً في (أرجان) وداراً للإمارة .

وأقدم القبائل العربية في (عربستان) هم (بنو حنظلة) وجاءت قبل (الفتح الإسلامي) فأستقرت على ضفاف نهر (كارون) و (شط العرب) ثم قبيلة (بني كعب) وسكنت (قبان) ثم (الفلاحية) وتنسب إلى (كعب بن عامر بن صعصعة) من بطون (هوازن)[٢٩] .

وجدير بالذكر فإن من (الهولة) في الأهواز هم من أصول عربية وينتسبون إلى (بني كعب) وأن (الحويزة) قد سيطر عليها (المشاشة) وهم عرب أصلهم من الجزيرة العربية وذلك في القرن السابع عشر وكان الحاكمان فيها هما سيد مبارك وابنه سيد ناصر بالتعاون مع شاه فارس .

حتى أن (جيوم دي ليل) الفرنسي كتب في خريطة الأطلس الذي أصدره عام ١٧٣٣م كتب على الساحل الفارسي (**ساحل مسكون بالعرب**) وفي عام ١٩٢٥م كانت **نسبة العرب ٩٩٪** من سكان (عربستان) . ثم قلت النسبة نتيجة لهجرة وتهجير العرب منها وتشجيع هجرة الفرس إليها[٣٠] .

وبذلك أصبح لتلك الهجرات أثر حضاري يتمثل في نشر الإسلام بصورة سلمية . لما صاحب عقيدة التوحيد من رقي حضاري فهي أقوى من العقائد السائدة في تلك الديار وما فيها من تعدد الآلهة والشرك . كما أن **الرغبة في الجهاد** في سبيل الله ونشر الإسلام، وما نتج عن النتائج السياسية والعسكرية لحروب الردة، فاتجه المسلمون عربهم وعجمهم للجهاد ضد المشركين في كل مكان، وللدفاع عن معتنقي الدعوة الإسلامية، وتوطدت العلاقات بين العرب وغيرهم .

العوامل الاقتصادية

من الدراسات الجيولوجية عن قاع الخليج العربي كتب (وارنر نوتزل) قوله : إن الخليج العربي كان جافاً في الفترة ما بين ١٦,٠٠٠-١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

وفي حوالي ١٢,٠٠٠ ق.م أخذ الخليج يمتلئ بسبب عملية الذوبان التي حدثت بعد العصر الجليدي . وكان مستوى البحر يقع تحت المستوى الحالي بـ ١١٠ أمتار .

وفي حوالي ٥,٥٠٠ ق.م حدث تغير فجائي في المناخ إذ زادت الرطوبة في الخليج تلاه حدوث فيضانات تكررت كل عام تقريباً بحيث أصبح الاستيطان غير ممكن في المنطقة كما حدثت تغييرات في مستوى سطح البحر إذ أصبح ارتفاعه يزيد بثلاثة أمتار عن مستواه الحالي في الفترة من ٤,٠٠٠-٣,٥٠٠ ق.م فكانت المياه تغطي مسافة إلى (أور) في وادي الرافدين .

وفي ٣,٥٠٠ ق.م تناقص سطح البحر ثانية إلى المستوى الحالي . وقد غمر من الأرض نحو ١٥٠ متراً في كل عام فأصبح المناخ في النصف الأول من الألف الرابع ق.م

أحسن لتناقص مستوى البحر . ولأول مرة هاجر (السومريون) في هذه الفترة نظراً لخصوبة الأرض السهلة وعدم تعرضها للفيضانات إلا نادراً[٣١] . وكانت هذه أول هجرة من الجزيرة العربية أملتها الظروف الطبيعية والاقتصادية .

ولقد دلت الآثار القديمة على أن الإنسان العربي عاش على سواحل الخليج منذ (العصور الحجرية القديمة) . وقد أيدت المكتشفات الآثارية عن وجود أقوام عربية ذكرت في ألواح (السومريين)، إذ جاء ذكر (سبأ) في النصوص السومرية وهي دولة عربية امتدت من اليمن إلى الخليج العربي[٣٢] .

وهذا يدفعنا للقول : **بأن العرب هم شعب هذا الساحل منذ العصور القديمة** وقد نزح البابليون نحو الخليج في الألف الثالث قبل الميلاد وذكر الأكديون (العرب) نتيجة للصلات التجارية مع أقوام الخليج (كدلمون) و (مكان) (مجان) **وهذه أقدم إشارة عن (العرب) ترد إلينا** وذلك كما ورد في مصدر ذكره (كروهمان) .

وذكر (استرابو) أن (الجرهاء) في الأصل كانت موضعاً (للكلدانيين) في عام ١٧٥٠ ق.م وهي (هجر) .

وفي الألف الثالث ق.م نزح (الكنعانيون) . وفي قول نزح (الفينيقيون) للبحرين والقطيف . ومقابرهم تشبه مقابر دلمون في البحرين . ولفظ فينقس مشتق منه الفينيقيون وتعني (النحل) الذي كان شعاراً لدولتهم وقد طبع على مسكوكاتهم ثم هاجروا من منطقة الخليج[٣٣] إلى سواحل البحر المتوسط .

فمن أسباب الهجرات العربية **(العوامل الاقتصادية)** : إذ لعب الخليجيون دور الوسيط الكبير في إيصال منتجات القارة الأوروبية ومناطق جنوب غرب إيران وبلوجستان وأفغانستان إلى الأسواق السومرية، بالإضافة لوجود أسواق ومراكز تجارية رئيسية على سواحل الخليج العربي، فهاجروا واستقر بعضهم في تلك المراكز التجارية في الخليج . ودلت الآثار والنصوص المسمارية على وجود تلك العلاقات في آثار (ديلمون) أي البحرين و (مكان) أي عمان و (ميلوخا) التي قد تطابق مناطق شبه القارة الهندية، وربما تكون على ساحل (مكران) وقد تمتد إلى داخل الهند فتصل للسند وحضارة (موهنجرادو) و (خرابا) .

وفي حدود ٢٤٥٠ ق.م وجدت نصوص تشير إلى تجارة الخليج يرد فيها أن : (قوارب دلمون جلبت الخشب إلى "أور" في جنوب "وادي الرافدين" وهذا مما دفع

(سرجون الأكدي) أن يخضع مدناً كثيرة ومنها (دلمون) . ومثله (نرام سين) حفيد سرجون الأكدي .

واستمرت التجارة في الخليج في عهد (أورنمو) مؤسس سلالة (أور الثالثة) وذلك في حدود عام ٢١٠٠ ق.م ثم خلفاؤه الذين استوردوا النحاس من (مكان) أي عمان والأحجار الكريمة والعاج والعطور والأخشاب من (ميلوخا) . .

ويقول (هيرودوتس) (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) : أن الفينيقيين على أيامه يدعون بأن أجدادهم سكنوا سواحل الخليج العربي قبل نزوحهم إلى ساحل البحر المتوسط . ويذكر (بوليبوس) : ٢٠٤-١٢٢ ق.م إن (الجرهاء) كانت المركز التجاري في جزيرة العرب، ونقطة انطلاق القوافل التجارية من بلاد الأفاويه وإليها . وتتشعب منها الطرق إلى مكة والبتراء، ولها تجارة نشطة مع إغريق سلوقية[٣٤] .

وازدهرت حضارة (الجرهاء) في الخليج العربي بعد فشل حملات الإسكندر المقدوني عام ٣٢٣ ق.م وإن إمارة (الجرهاء) قد لعبت دوراً مهماً ومدافعاً أميناً عن عروبة الخليج طيلة العهد (الهيلينستي) . ولكن في بداية العهد (الروماني) أخذت هذه المنطقة تفقد أهميتها تدريجياً ولاسيما بعد أن تحولت خلجانها المائية إلى خلجان رملية، فانتقل أهلها إلى المراكز التجارية الأخرى وانتقل قسم منهم إلى (هرمز) واستقروا بها إذ كانت (هرمز) مركزاً تجارياً هاماً في العهد الروماني[٣٥] .

وبعد وفاة (الإسكندر) ٣٢٤ ق.م بقي بعض من عساكره في مواضعه وأقاموا بها مثل (تيلوس) و (فيلكا) ولم يتجاوز موضع جلفار (رأس الخيمة) **فاستعرب هؤلاء ونسوا أصلهم واندمجوا بالعرب** . ومنهم من جاء بهم الفرس قهراً إلى هذه الأماكن لإسكانهم بها عقوبة لهم بعد وقوعهم في أسرهم[٣٦] .

كان (نيكارخوس) أحد قادة (الإسكندر) قد أرسل أحد مرافقيه المسمى (أندرو ستن) فوصل لسواحل الخليج وسمى الجزيرة باسم (أبكاره) ويعتقد الباحثون أنها جزيرة (خارج) وذكرها (بليني) باسم (أراكيا) . كما ذكرها كذلك (بطليموس) وجعلها الإسكندر قاعدة بحرية لأسطوله في المنطقة وسميت باسم (خارك)[٣٧] .

وذكر (بطليموس) ٩٠-١٦٨م : أن (تميم) قد جاء ذكرها مع ذكر (الجرهاء) كما ورد ذكر (عبد القيس) Abou Kaium . وأكد (بلينوس) عن وجود قبائل عربية مختلفة

تسكن سواحل الخليج . وسمى بطليموس مدينة دعاها (عمانا) Omana وقال أنها تقع على ساحل كرمانيا (كرمان) في الجانب الشرقي للخليج المقابل للساحل العربي التي أنشأها العمانيون هناك . ويتساءل بقوله : ومن يدري فلعل ذلك الساحل كان تابعاً لأهل (عمان)، إذ كانت أرض العمانيين واسعة وتشمل الساحل والبر المتصل به[٣٨] .

وبعد سقوط (الجرعاء) انتقل بعض سكانها من (تميم) و (عبد القيس) إلى (خارج) وعرفت باسم (ميسان) وكانت منازل (تميم) ثم منازل (سعد من بني تميم) في منطقة (الجرهاء)، والذين استقروا فيها قبل مجيء (الإسكندر) كما كانت مأهولة بالعمانيين . وللعرب دور خطير قبل قيام الدولة الساسانية حيث بسطوا نفوذهم على (كرمان) . وكانت (ميسان) قد سميت فيما بعد (خارج) و (جراكس) ولعله (جارك) وسكانها من العرب وقد قاوموا الساسانيين حتى عام ٢٢٦م إذ احتلوا (ميسان) وقتلوا آخر حاكم عربي فيها فهاجر بعض سكانها وسكان (الجرهاء) إلى (هرمز) و (خارج) التي سميت (ميسان)[٣٩] .

وقد ذكر أنسوورت : إن العرب قبل العهد (الساساني) قد استقروا في السواحل الجنوبية من إيران وهيمنوا عليها حيث بسطوا نفوذهم وسلطانهم على(كرمان) . ويذكر (كورثيوس وقوس) : إن العرب كانوا في العشرات الأولى من القرن الثالث الميلادي في (كرمان) و (فارس) وقد ذهبت أعداد كبيرة عن طريق البحر من قبائل (عبد القيس) من (البحرين) و (كاظمة) .

وأكد (الهمداني) المتوفى عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م قوله : أن بعض سكان (الجرهاء) من (تميم) قد انتقلوا إلى (هرمز) و (خارج)، وعلى أثر انهدام (سد مأرب) حوالي عام ٥٣٩م وانهدام آخر في سنة ٥٦٥م فهاجرت بعض القبائل إلى البحـــرين[٤٠] . وذكـــر الطبري (ت٣١٠هـ) أن من عشائر (بكر بن وائل) من كانوا يقيمون قبل الإسلام في (كرمان) ويدعون بـ (كرابان) و (حنظلة) في (الأهوان)[٤١] .

وهاجرت (عبد قيس) قبل الإسلام للبحرين، واستوطنت (بكر بن وائل) البحرين كما استوطنت (تميم) البحرين قبيل ظهور الإسلام، وكانوا يغيرون على قوافل كسرى التي تمر عبر بلادهم مما حمل الفرس على الانتقام منهم والإيقاع بهم في (يوم المشقر المشهور)[٤٢] .

وفي القرن الأول للميلاد انتصرت (ربيعة) وحلفاؤها من (مضر وأياد وإنمار) على (قضاعة) في (تهامة) ومنهم (الأزد) فأجلوهم إلى البحرين والعراق فهاجرت (قضاعة) ثم (أياد) بسبب الحروب في تهامة وتحالفوا مع (الأزد) و (لخم) في البحرين والعراق . ثم قدمت (عبد قيس) من (تهامة) للبحرين وقطيف وهجر .

وفي عام ٣٥٠م نقل (سابور الثاني) بعض من قبائل (تغلب) و (عبد قيس) و (بكر بن وائل) و(تميم) إلى (كرمان) في بلاد فارس لأنهم هاجموا حدود الفرس[٤٣] .

وفي ٦١١م حدثت معركة (ذي قار) بين (بكر بن وائل) و (عبد القيس) من جهة ضد (الفرس) من جهة أخرى، فانتصرت (بكر) على (الفرس) فكان من الأسرى من (بني يربوع) من (تميم) فتعاهدوا للعودة مع (بكر) فجعلوهم يقاتلون معهم[٤٤] .

وكانت في البحرين عند ظهور الإسلام كل قبائل (عبد القيس) والتي جاءت من (تهامة) فأجلت (أياد) عن البحرين . كما قدمت من عشائر (تميم) و (بكر بن وائل) ومن (الأزد) فاستوطنت البحرين[٤٥] . وقبيل الإسلام أصبحت منازل (تميم) في (البحرين وحاكمها (المنذر بن ساوى التميمي)[٤٦] .

وللعرب سفن تبحر في الخليج فقال الشاعر :

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

وقال عمرو بن كلثوم (ت ٤٠ق.هـ/٥٨٤م) :

ملأنا البر حتى ضـــاق عنا ونحن البحـــــر نملؤه سفينا

وكان (الأزد) من الملاحين في الخليج حيث اعتمدت عليهم القوات الإسلامية في حملاتها على السواحل الشرقية للخليج العربي والهند .

ولعبت موانئ الخليج العربي دوراً هاماً في التجارة بين الهند شرقاً والبحر المتوسط غرباً ومنها (خارج) التي ظهرت على مسرح الأحداث منذ عهد الإسكندر ولمدة أكثر من أربعة قرون حتى عام ٢٢٤م حيث قامت الدولة الساسانية . وفي عام ٢٢٦م استولى مؤسسها (أردشير بن بابك) على (ميسان) بعد أن قتل آخر حاكم عربي فيها وجعلها تابعة لدولته[٤٧] فهاجر سكانها وسكان (الجرهاء) إلى (هرمز) و (خارج) .

واشتهرت سواحل الخليج العربي في العصر العباسي بموانيها كمراكز تجارية حيث تقدمت فيها الزراعة والصناعة . فمثلا (الأهواز) تنتج الخضراوات والفواكه والزهور والرياحين . ثم صناعة قصب السكر والعطور خاصة في مقاطعة (فارس) والمنسوجات وأصباغها في (الأهواز) و (فارس)[٤٨] . وكذلك اتسع نطاق الرحلات التجارية إلى (الهند) خاصة وأن السفن العربية كبيرة تستطيع عبور البحار الشاسعة فتصل إلى الصين والهند وشرق أفريقيا والبحر المتوسط بينما السفن الهندية صغيرة لا تبحر إلا قرب السواحل . وكانت الصادرات الخليجية للهند كاللبان والخيول وهي أقل من الواردات من الهند . وللعرب خبرة في الملاحة بمواسم هبوب الرياح واتجاهاتها خاصة الرياح الموسمية وما في البحار من لؤلؤ ومرجان وأسماك، فهم يملكون السفن حيث كان أحد أبناء (سيراف) يملك سفناً كبيرة وهو (محمد بن بابشاه) وقد أعجب به ملك الهند فأمر أن ترسم صورة محمد بن بابشاه ليحتفظ بها .

وبعد سنة ٢٣هـ فتح (عاصم) (سجستان) ثم عين عاملاً على (كرمان) واستقر العرب في البلاد المفتوحة . كما فتح (الأحنف بن قيس) (قاشان) و (خراسان) وبقي العرب يسكنون سواحل الخليج العربي وجزره من ضمنها (خارج) ويصدرون اللؤلؤ ويمتهنون الزراعة . واستمرت أعمالهم وبقاؤهم في جزيرتهم في عهد الدولة المغولية التيمورية والجلانرية والصفوية والإفشارية . وحتى بعد سقوط الأمير (مهنا) ودخول الهولنديين لـ (خارج) ثم (الفرس) إلا أن العرب لم يغادروا جزيرة (خارج)[٤٩] .

وإن هاجر بعضهم إلى البحرين كما حدث في عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٣م وكان سبب دخول الهولنديين لخارج هو أن مير مهنا قد منح الهولنديين موطئ قدم لهم في (خارج) وعدم موافقة ولده على ذلك فأدت هذه الفتنة إلى أن قتل الولد والده وكانت سبباً في نهاية الحكم العربي في (خارج) الواقعة على الساحل الفارسي للخليج العربي .

وظلت السفن العربية خلال العصر العباسي تجوب الخليج والمحيط الهندي وتصل إلى أعالي السند في نهر (مهران) ووصلوا إلى ما يسمى اليوم (بالباكستان) على أثر تشجيع الخلفاء العباسيين ومنهم المنصور والمهدي والمأمون فوصلت سفنهم إلى (تيزمكران) ودخلت ميناء (الديبل) التي كانت تقوم بتسويق المسك الشهير الذي يستورد إليها من بلاد التبت وأرض الترك كما كانت بلاد الكجرات وموانيها أسواقاً تجارية للرحلات القادمة من

الخليج مارة ببلاد السند للتزود بالماء العذب والمواد الغذائية وهكذا كان سكان الخليج يتاجرون في ساحل (مليبار) بأمن وطمأنينة .

ومن السلع التي كان العرب يتاجرون بها العود والأفاويه والهيل والدارصيني والأحجار الكريمة يستورد منها من مملكة(البلهرا) ومن (رهمي) ينقلون الذهب والفضة والثياب الفاخرة والعود . كما نقلوا أشجار النارنج والإترج من الهند فزرعوه في بلاد العرب . ومن (سرنديب) تنقل التوابل والمسك والياقوت واللؤلؤ والأحجار الكريمة ويستوردون بعض العقاقير التي يستخدمها الصيادلة .

واشتهر الساحل الشرقي للخليج بالملاحة وصيد السمك من بندر (ديلم) شمالاً إلى سواحل (مكران) جنوباً، كما أشارت لذلك الوثائق البريطانية، وأن سكان تلك المناطق لهم معرفة جيدة بمواسم هبوب الرياح والتيارات البحرية وعلم الفلك وابتكارهم للشراع المثلث الذي أكسب سفنهم السرعة وسهولة المناورة في مواجهة حركية الرياح . هذا ويقابل ذلك فقر الصحراء . لذا فالحاجة تدفعهم نحو البحر وما فيه من خيرات : تجارة وملاحة، فاشتهروا بصيد اللؤلؤ والغوص، ووجود مراسي ذات أعماق كافية لرسو السفن في الموانئ والجزر مما شجع على الملاحة والإبحار .

ومن المعلوم أن (بندريق) و (بوشهر) و (لنجه) و (بندر عباس) و (خارج) و (الشيخ شعيب) و (قشم) و (هنجام) و (هرمز) سكنتها بعض القبائل العربية وأقامت فيها حكما عربياً لفترة من الزمن . وعلى سبيل المثال (فالقواسم) حكموا (لنجه) حتى عام ١٨٨٧م[٥٠] . أما (قيس) أو (كيش) وهو تعجيم قيس وهي جزيرة في وسط البحر تعد من أعمال فارس لأن أهلها فرس وبوجود العرب فيها لذا تعد من أعمال عمان وذلك في القرن الرابع الهجري .

وأقامت قبيلة (قيس) في (القشم) منذ صدر الإسلام[٥١] . وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : أن قيس جزيرة صغيرة في بحر عمان وأن أسرة من قبيلة (قيس) استطاعت في زمن النبي ﷺ أن تقيم لها دولة في (هنجام) منذ عهد النبي ﷺ وظهرت أهمية هذه الجزيرة في نهاية العصر الوسيط عندما برز أمير من جنوب الجزيرة العربية واحتلها وبنى أسطولاً وأخذ يبسط نفوذه فبدأت الجزيرة تتمتع بازدهار متواصل . وأصبحت مركزاً للتجارة الهندية والفارسية و (الصينية) وقد خلط ابن بطوطة في تحفته بين (سيراف)

كمدينة تقع على الساحل الشمالي القريب من الجزيرة وبين جزيرة (قيس) وفيها عرب (بني سفاف)[٥٢] .

وحين وصف (ياقوت) المتوفى ٦٣٦هـ ميناء (سيراف) الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي وصفها ياقوت في أواخر العصر العباسي قال : إنها مركز تجاري أسسه العرب بالقرب من جزيرة (قيس) مقابل ساحل عمان . ترسو فيه السفن القادمة من شمال الخليج العربي والتي تبحر نحو الهند والصين وعمان ثم إلى الشرق الأقصى. وذكر أشهر أصحاب السفن العربية في (سيراف) ومنهم (محمد بن شاذان)حتى أن أحد ملوك الهند طلب أن يرسم له صورة (محمد بن شاذان) وذلك لشهرته بالملاحة . وممن اشتهر بالملاحة أيضاً (سهيل بن أبان) و (أحمد بن ماجد) ممن ذاعت شهرتهم في علم البحار . وبعد أن ضعفت مكانة (سيراف) حلت محلها جزيرة (قيس) في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي[٥٣] .

وتقع جزيرة (قيس) شمال جزيرة (بني كاوان) وتسمى خطأ (كيش) والصواب (قيس) . قال الحموي : بعد إعمار جزيرة قيس إثر الزلزال الذي دمر ميناء (سيراف) عـــام ٣٦٧هـ/٩٧٦-٩٧٧م إذ عمـَّر (قيس بن عميرة) من (ربيعة) الفرس، جزيرة (قيس)[٥٤] . وقد استقر العرب في (سيراف) وهم من بني سامة بن لؤي[٥٥] . وقال (ابن بطوطة) حين مر بطريقه بسلطان (هرمز) في ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م قال : (قيس) وتسمى أيضاً (سيراف) وفيها طائفة من (بني سفاف) وهم الذين يغوصون على الجوهر . وزار ابن بطوطة السلطان (قطب الدين تهمتن بن طوران شاه) سلطان (هرمز) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الأخلاق[٥٦] .

ويذكر القزويني (ت : ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) أن (قيس) متجر العرب والعجم[٥٧] وفي ١٢٧٢م و ١٢٩٣م زار (ماركو بولو) (هرمز) وقال : يحكمها عرب مستقلون[٥٨] .

وقد اشتهر ذراعان ملاحيان يمتدان من المحيط الهندي هما : ذراع الخليج العربي، وذراع البحر الأحمر حيث يتوغلان في قلب العالم القديم إلى بلدان البحر المتوسط، وأسهب الجغرافيون المسلمون في بيان الصلة الوثيقة بين هذين الذراعين .

ومنذ أزمان بعيدة هاجر بعض الحضارمة إلى بلاد جنوب شرق آسيا وذلك لإندونسيا وماليزيا وسنغافورة وفي جزر الهند الشرقية فقد هاجر عرب حضرموت اليمن والحجاز

وعمان إلى (كيرالا) في عهد الرسول ﷺ وتزاوجوا مع أهلها . وفي العصر الحديث خاصة أواخر القرن التاسع عشر عملوا في التجارة والتعليم الديني . كما هاجر بعض الحضارمة إلى (الهند) في العصور الوسطى فوصلوا إلى (الماراثا) و (توجرات) و (بارودا) و (ابهار وشهر) و (أحمد أباد) و (الدكن) .

وزار المسعودي (ت ٣٠٤هـ) جهات الهند ودون مشاهداته قال : إن (صيمور) ميناء عظيم على الساحل الغربي للهند أقامت فيه جاليات كبيرة من أبناء الخليج وصار لهم رئيس من بينهم وهم كثيرون مقيمون ، وصارت لهم ذرية توالدت بأرض الهند وهي من مملكة (الباهرا) وبها نحو من عشرة آلاف قاطنين (بياسرة) و (سيرافيين) و (عمانيين) و (بصريين) و (بغداديين) وغيرهم تأهلوا وقطنوا تلك البلاد . ومن تجارهم موسى بن إسحاق وعلى (الهزمة) - أي رئاسة المسلمين - أبو سعيد معروف بن زكريا . و (البياسرة) وهم من ولدوا من المسلمين بأرض الهند، ولهم جوامع معمورة بالمصلين ونساؤهم جميلات .

وفي ساحل كونكان مستوطنات صغيرة ومنهم من أصل عربي يعرفون بـ (الجماعانيين) ولغتهم مزيج من العربية والكونكانية وتعرف بـ (عربي كونكاني) . أما هجرتهم في العصور الحديثة في أواخر القرن ١٨ إلى كوجرات الدكن للاشتغال في جيوش الدويلات المسلمة في إقليم ماراث وفي وسط وجنوب وغرب الهند من عام ١٧٠٧م. ويمكن القول أن استخدام العرب في جيش المغول بدأ في ١٧٤٢م وبلغ عددهم عام ١٨٠٠ نحو خمسة آلاف شخص .

وفي ١٧٩٣م كان لهم نفوذ في ناجبور والبرنسال واستخدام الحضارمة كحراس وجنود لأنهم اشتهروا بالذود عن القلاع ، ويمتازون بالشجاعة والإقدام والرماية من مسافات بعيدة . وأول هجرة الحضارمة إلى حيدر أباد وصلوا بونا في ١٨١٨م إضافة لمجموعات للعرب المتواجدة في حيدر أباد في ذلك الوقت فأصبح عددهم يزيد على خمسة آلاف في حيدر أباد .

ومن أسباب هجرة الحضارمة موجات الجفاف التي كانت تجتاح حضرموت من حين لآخر وإغراء النظاميين في حيدر أباد للعرب بالهجرة إليها حتى يكونوا سنداً لهم

في مواجهتهم النفوذ المتزايد للجنود السيخ في المنطقة تحت إمرة وتشجيع ديوان تشاندو لال حتى بدت حيدر أباد وكأنها عاصمة الهندوس .

وبحلول عام ١٨٥٠م لم يكن حاكم أو ملاك إلا واستعمل حضرمياً للحراسة وللدفاع عنه . وكانوا يقومون بتسليف الناس بفوائد كبيرة ثم قامت بريطانيا للحد من نفوذ العرب في حيدر أباد لتعاظم نفوذهم ثم القضاء على القوة العسكرية للعرب في حيدر أباد نهائياً في أكتوبر عام ١٨٨٤م لكن بقي العرب كغيرهم من المواطنين في القرن العشرين بعد أن انضمت حيدر اباد للهند ١٩٤٨م أبعدت الحضارمة ولكن بقي في الهند عرب الحضارمة وعددهم بين ٢٠-٥٥ ألف عربي . وبظهور النفط عاد بعضهم إلى دول النفط ولهم فيها متاجر[٥٩] .

ويبدو منذ القرن الخامس الميلادي أن الطريق البحري بين الخليج العربي بضفتيه مطروقاً للتجار العرب وفي مقدمتهم تجار عمان واليمن . وقد أقاموا لهم محطات للاسترشاد على طول الطريق البحري إلى جنوب الهند وحتى (قوانجزو) في جنوب الصين حيث توجد أدلة على أن العرب كانوا قد استقروا في هذه المدينـــة في فترة سابقة لعام ٣٠٠م[٦٠] .

لم تنقطع وفود الحجاج والدارسين الصينيين إلى شبه جزيرة العرب منذ ٦٥١م وحتى يومنا هذا وأن وفوداً من المدينة المنورة هاجروا إلى الصين أيام حياة الرسول الكريم وماتوا ودفنوا في أراضيها . وعلى قبور بعض الدعاة في مدينة (قوانجزو) كتابات بعض الدعاة . وعثر على أحجار نقش عليها بخط المسند الحميري في جزر الهند الشرقية والفليبين ويعتقد أنها لعلاقات تجارية قديمة .

ووجد في داخل قبر صحابي في مدينة (زهاو يانك) كأس أزرق مكتوب عليه بالعربية (الله أكبر) جاء للصين في ٦١٨-٦٢٦م وهو في حكم الإمبراطور جاوزو Gaozu وهي أول بعثة دينية من الجزيرة العربية للصين جاءوا من مكة والمدينة المنورة . ويحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل للصين وفداً لتبليغ الدعوة استناداً على إرساله في السنة ٨هـ وفود إلى ملوك الفرس والروم والحبشة ومصر وغيرهم، وإن النبي ﷺ حث أصحابه وأمته لطلب العلم ولو في الصين . وسافر للشام وربما التقى بتجار صينيين أو عرب قادمين من الصين . وكانت مكة تعرف الحرير الصيني الفاخر ومرايات البرونز

الصينية وهناك نساء يحملن اسم (مي) وتعني باللغة الصينية الجمال . وربما وصلت بعض النساء الصينيات في الجاهلية فأعجبوا بهن . وكانت حبيبة اسمها مي . ثم خرج أبو زيد السيرافي من البصرة للصين ٣٥٨هـ/٨٧١م والتقى ملك الصين الإمبراطور ي. زونج Y. Zong وعرض على (أبوزيد) صور أنبياء منهم النبي محمد لأنهم مولعون بالتصوير . وأرسل (المنصور) الخليفة العباسي مساعدات عسكرية إلى أمير منطقة في الصين عام ٧٥٦م ولما طلب (يزدجرد) مدداً عسكرياً صينيـاً ضد العرب المسلمين لم يستجب له الصينيون[٦١] .

وتورد المصادر الصينية المبكرة لعام ٧٥٨م عن ظهور ملاحين من العرب والفرس في (كانتون) وفي الربع الثالث من القرن التاسع وجد بعض التجار العرب في الصين . وقد كتب (المسعودي) عام ٩١٤م عن وجود تجار من المسلمين العرب في الصين .

وظل العرب أصحاب السيادة المطلقة على تجارة (الصين) حتى نهاية القرن الخامس عشر حينما اكتشف (فاسكو دي جاما) طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧م . ثم احتل (البوكيرك) هرمز ١٥٠٧م .

ومن العوامل التي ساعدت على الهجرة والاستقرار في البلاد المفتوحة (المصاهرات) .

فقد هاجر العرب نحو الساحل الشرقي من الخليج العربي أو في داخل بلاد فارس والهند وغيرها . وتزوجوا من نساء البلاد التي استوطنوها . وكان منهم بعض التجار البارزين من العمانيين والبصريين والبغداديين ومنهم (البياسرة) و(السيرافيين)[٦٢] .

ويقول (جلال أحمد) صاحب كتاب (جزيرة خارج در يتيم خليج فارسي) . إنه رأى أثناء إقامته في جزيرة (خارج) سندات تملك مكتوبة باللغة العربية بحوزة الحاج (حسن عماد الخارجي) المعروف (بخان بهادر) وهو أحد رجالات الجزيرة في الأربعينات من هذا القرن[٦٣] .

وفي عام ١٦٠١م كان العرب في (هرمز) و(مازون) و (بندر عباس) يقومون بحرق مادة (الصاروج) إلى أن يتحول لونها إلى الأبيض . فتضرب بالخشب بواسطة مجموعة من **(رجال العرب)** الذين يمتهنون هـذه المهنـة حتى تتحول إلى ذرات صغار وتستخدم

للبناء . وفي عام ١٠١٤هـ/١٦٠٥م كان سكان هرمز من العرب ماعدا وزير إيراني وحامية إيرانية[٦٤] .

كما كانت (جنكن) وهو ميناء قرب(جسك) **مسكونة بالأعراب** في عام ١٦٠١م وهو عام كتابة مذكرات (تنحسيرا) البرتغالي[٦٥] .

وكانت المنطقة الواقعة بين جزيرتي (هرمز) و(الجسم) تخص عرب (هرمز) ولمدة طويلة . وفيها حصن صغير يسميه البرتغاليون (جمبرون)[٦٦] . وأما (هرمز) و (لارك) فيسكنهما عرب من (معين) كما سكن (الحرميون) لارك وكانت قاعدة لهم ولهم مقر آخر (نابون) ومقر آخر للحرميين هو (عسيلوه)[٦٧] . وورد في مذكرات (ووستن) و (كلايف) عن رحلته من إنجلترا إلى الهند عام ١٧٥٧م في طريق غير معتاد مـاراً في بلاد فارس فقال : كان ملا علي الحاكم الفارسي لـ (كمبرون) وهو عربي وكانت (هرمز) و (لارك) تابعتين له . ومن مراكز عرب الهولة (لنجه) و (بندر عباس) و (بوشهر) ومنهم من رجع إلى الساحل الغربي للخليج العربي خلال القرن السابع عشر ومنهم (الكنادرة) بالكويت وكذلك عرب (بستك) في (فرامرزان) وهم شوافع جاءوا إلى الساحل الغربي للخليج العربي وكانت تقيم بعض القبائل العربية في (بندر عباس) في الفترة ما بين ١٧٤٧ إلى ١٧٥٦م وذلك بعد وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧م .

وأن الرحالة (نيبور) الذي عاش بين ١٧٣٣-١٨٠٥م قد زار الخليج العربي عام ١٧٧٢م كتب عنه قوله : **أن العرب يملكون جميع السواحل البحرية للقسم الشرقي من الخليج**[٦٨] .

ومن نهر الفرات إلى الإندوس . ويرى البعض أن آخر هجرة من الجزيرة العربية وعمان واليمن وأجزاء من جنوب العراق إلى سواحل وبر فارس كان بسبب قحط أصاب الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية وآخر هجرة كانت لقبيلة (البوسميط) إلى (لنجه) وكان العرب عامة في منطقة الخليج العربي يمارسون الملاحة وصيد السمك واللؤلؤ ولكل مدينة أو ميناء على الساحل الشرقي للخليج شيخ ولكل شيخ قلعة . ويسكنون في بيوت بسيطة . ويؤكد (نيبور) الذي زار الخليج العربي عام ١٧٧٢م بقوله : إن (الهولة)

يسيطرون على الساحل الشرقي للخليج من (بندر عباس) إلى (رأس بردستان) . وأن شيخ سير يملك كل مدينة (كنج) و (لنجه) وأن شيخ (نابند) و (الطاهرية) و (شيروه) و (كنكون) و (ميلو) وكلهم أصلاً من (المناصير) وهم على المذهب الشافعي . كما أن سكان (بوشهر) ومنهم المذكور وهم من عرب مطاريش عمان ومن حكامهم الشيخ ناصر المذكور .

ثم إن هرمز كما وصفها (نيبور) جزيرة مستقلة يسكنها التجار العرب .

أما (بندريق) فيسكنها من قبيلة (بني كعب) والتي قضى على آخر حكامها نادر شاه[٦٩] .

ومن أسباب الهجرات ما تعرضت له بعض المدن والموانئ والقرى من (**أمراض وأوبئة وطواعين وسيول مدمرة**) أدت إلى هجرة أهلها أو بعضهم وعلى سبيل المثال (انهدام سد مأرب) قبل الإسلام في حوالي عام ٥٣٩م وانهدام آخر سنة ٥٦٥م مما أدى إلى هجرة بعض القبائل العربية ومنها (الأزد) اتجهوا صوب الخليج العربي واستقروا في البحرين . ثم (عبد القيس) الذين وفدوا من تهامة واتجهوا للبحرين – التي كانت إقليماً واسعاً يمتد من كاظمة شمالاً إلى جلفار (رأس الخيمة) جنوباً – وكان في البحرين حين قدوم عبد قيس قبيلة (أياد) فتركت (أياد) البحرين بعد قدوم (عبد قيس) وذلك لحربها مع (ربيعة) وبسبب الحرب بين القبائل من (مضر) و (ربيعة) في (تهامة) فقد هاجرت (قضاعة) إلى البحرين وتحالفوا مع (الأزد) و (لخم)[٧٠] .

وشهد القرن الثاني الهجري في الشرق الأوسط كثيراً من الهجرات بسبب (**الكوارث الطبيعية**) . ففي عام ١٧٧٢م حين انتشر في (البصرة) مرض الطاعون ثم انتقل إلى (الزبير) ثم إلى (الكويت) ومات في (البصرة) نحو مائتي ألف نسمة من أصل ثلاثمائة ألف من سكان البصرة . وفي (الزبير) مات نحو ستة آلاف شخص، فهاجر كثير من أهلها إلى (الزبارة) التي كانت وقتئذ قد تأسست حديثاً أسسها الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة عام ١٧٦٢م .

ومن العوامل التي ساعدت على هجرة القبائل العربية وبطونها وأسرها وحتى الأفراد هي :

الفتوحات الإسلامية : فلقد فرض الله تعالى الجهاد بالنفس والمال من أجل إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام والدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن معتنقيها، وتوجيه المسلمين إلى دول المشركين . وكان العرب قبل الإسلام يتناحرون فيما بينهم لأسباب قد تكون تافهة

تؤدي إلى حروب تدوم أحياناً عشرات السنين . وساد الغزو بين القبائل كمظهر من مظاهر الشجاعة ، وطلب الثأر، والنزاع على مواطن الماء والكلأ، في بلاد يشح فيها الماء ويندر فيها سقوط المطر . ولما جاء الإسلام وجههم نحو العدو الخارجي الذي يريد القضاء على العقيدة وعلى معتنقيها من جهة وفي بلاد تتمتع بخيرات وزروع ومياه، فاتجه المسلمون نحوها ليؤدوا فريضة الجهاد في سبيل الله وينشروا الإسلام . وقد كان لهم ما حقق أهدافهم فاستقر بعضهم في البلاد المفتوحة . ومنهم من تزوج هناك بمسلمات من نفس البلاد المفتوحة فاستقروا وتناسلوا وحفظوا أنسابهم وتمسكوا بعقيدتهم . وقد اعتنق بعض سكان تلك البلاد الإسلام عن رغبة ذاتية أكيدة وبدون حرب، بل عن طريق استقرار المسلمين العرب في صـــدر الإسلام وتمسكهم بعقيدتهم التي تتمثل بمكارم الأخلاق ، مما شجع الآخرين على اعتناق الدين الإسلامي، فهاجر كثير من العرب ونزل بعضهم في السواحل الشرقية من الخليج العربي . ومنهم من توغل إلى بلاد فارس وخراسان وإلى بلاد الهند والسند ثم إلى الشرق الأقصى وحتى الصين . فكان الفتح الإسلامي يسير جنباً إلى جنب مع اعتناق سكان البلاد المفتوحة للإسلام .

حتى أن من بين بلدان الشرق الأقصى من اعتنق الإسلام سلمياً وبدون حرب . وذلك عن طريق التجار والدعاة والمصاهرات . وأهم من ذلك لما عرفوا عن الإسلام دين التوحيد فهو كحضارة يدعو للأخلاق الكريمة وبإنسانية وتكافل اجتماعي . كما يدعو للمساواة والأخوة والعدالة الاجتماعية . لذا أقبل السكان على اعتناق الإسلام . وهكذا كان الإسلام من أهم العوامل التي أدت إلى هجرة الناس من موضع إلى آخر . ثم استقرارهم في الدولة التي امتدت من الصين شرقاً وحتى بحر الظلمات غرباً .

ففي عام ١٥هـ/٦٣٦م وفي قول آخر عام ١٧هـ/٦٣٨م انتصر (العلاء الحضرمي) في معركة (عقبة الطاووس) على الفرس بقيادة (الهربذ) في (اصطخر) . ولكن الفرس قطعوا عليه الطريق فكتب الخليفة (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه إلى (عتبة بن غزوان) فانجده باثني عشر ألفاً من العرب يقودهم (أبورهم) من (بني عامر) .

وفي عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه عين (عثمان بن أبي العاص) والياً على البحرين وعمان وتمكن (عثمان ابن أبي العاص) من فتح (توّج) وأسكنها جماعة من (عبد قيس) وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين[٧١] .

وفي سنة ١٦هـ/٦٣٧م فتح (المغيرة بن شعبة) (الأهواز) فسكنها (بنو كعب) من (هوازن) و (بنو حنظلة)[٧٢] .

وبعد معركة (القادسية) التي انتهت في عام ١٦هـ/٦٣٧م بنى العرب في (عربستان) قلاعاً حربية ومن مدن (عربستان) (خوزستان) فهي (الأحواز) ويسميها الفرس (الأهواز) لأنهم لا يلفظون الحاء ويستبدلونها بالهاء . وتقع عربستان على ساحل طوله نحو ٤٠٠ كم يطل على الخليج العربي وأطلقت تسمية عربستان في عهد الشاه إسماعيل الصفوي لأن أغلب سكانها من العرب ، وسكن عرب بنو كعب الأهواز عام ١٧٥٠م .

ومنذ غزو الإسكندر لبلاد الفرس انفردت قبائل عربية فيها واحتازوها أي ملكوها . ومن تلك القبائل العربية هناك (بنو حنظلة) التي استقرت (قبل الإسلام) و (بنو كعب) . وقد حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم البدوية ردحاً من الزمن . والمعروف أنهم ينتمون إلى (كعب بن عامر بن صعصعة) من بطون (هوازن) ومن القبائل التي استقرت في شمال الخليج العربي بعض بطون (ربيعة) و (بني لام) وهم من (طي) وأصلهم من الحجاز[٧٣] .

ففي السنة السابعة عشرة للهجرة/٦٣٨م غزا المسلمون بلاد الفرس من ناحية البحرين بأسطول عربي ومنهم (تميم) ثم نزل الأسطول في الساحل الشرقي للخليج ولحق بهم من (البصرة) لنصرتهم جيش يقوده (عاصم بن عمر التميمي) الذي فتح (سجستان)، و (الأحنف بن قيس) فتح (قاشان وخراسان) وفتح (القعقاع بن عمرو التميمي) (حلوان وهمذان) . وفي معركة (نهاوند) أو ما تسمى بمعركة (فتح الفتوح) برز (القعقاع) ثم فتح (عاصم) (حلوان وهمذان)[٧٤] .

إن فتح بلاد الفرس حدث في عام ١٨هـ/٦٣٩م حيث انهزم الفرس في (نهاوند) وتسمى أيضاً بمعركة (فتح الفتوح) وأخضعوا فيها (خراسان)[٧٥] .

وقد استقر العرب منذ عصور قديمة في (توّج) وهي مدينة لفارس قريبة من (كازرون) وقد أسكن (سابور ذو الأكتاف) من (بني حنظلة ومعهم أعداد من (بني تميم) وغيرهم في القرن الرابع الميلادي . ثم حررها العرب بقيادة (عثمان وأخيه الحكم بن أبي العاص) عام ١٩هـ/٦٤٠م وبنى المساجد وأسكنها (بني عبد قيس)[٧٦] . ومن (الأزد) آل صفاق ويرجع نسبها إلى (مالك بن فهم) واستقرت في شرق الخليج من سيراف ومسقط وجزيرة

ابن كاوان . وكاوان اسمه الحارث وهو من بني عبد القيس وذكر ابن خرداذبة أن أهلها أباضية . وجزيرة (ابن كاوان) أو (لافت) من فتوح عثمان بن أبي العاص عام ١٩هـ/ ٦٤٠م إذ حررها قائد الحملة الحكم بن أبي العاص بجيش من الأزد وعبد القيس وتميم وبني ناجية .

وفي سنة ٢٢هـ/٤٢-٦٤٣م استولى والي البحرين (عثمان بن أبي العاص) على ساحل بلاد فارس فاستولى على (اصطخر) و (جنابة) و (شيراز) وغيرها[٧٧] .

وفي عام ٢٢هـ/٦٤٢م فتح (الأحنف بن قيس التميمي) خراسان بعد أن هرب (يزدجد) أمامه ولحق به ربعي بن عامر التميمي عام ٢٣هـ/٦٤٣م ففتح (عاصم بن عمرو التميمي) سجستان ثم عُيِّن في عام ٢٩هـ/٦٤٩م عاملاً على (كرمان) .

وإن (نيسابور ومرو وهراة وبلخ) هذه أهم وأكبر مدن إقليم (خراسان) وأهم مواطن استقرار العرب مع غيرها من مدن أخرى أقل أهمية .

فأما نيسابور : أو نيشابور مشتقة من (نيوشاه بور) ومعناه شيء أو عمل أو موضع سابور الطيب أسسها (سابور بن أردشير) وهي أهم مدن خراسان . وبعد الفتح الإسلامي عرفت باسم (أبر شهر) ومعناه مدينة الغيم في الفارسية . وقال ياقوت : إنها تدعى أيضاً إيران شهر وهي مملكة كسرى ويتبعها ١٢٦ قرية فتحت لأول مرة عام ٢٢هـ بقيادة (مطرف بن عبد الله الشخير) بعثه (الأحنف بن قيس) من (هراة) . وفي العام ٣١هـ حاصرها عبد الله حاكم البصرة ابن عامر شهراً وفتحها صلحاً بعد أن انتقضت[٧٨] . ثم عين معاوية قيس بن الهيثم حاكماً لخراسان بينما خليد الحنفي حاكماً على إيران شهر (نيسابور) وبقيت طيلة الحكم الأموي والعباسي تحت حكام من العرب وسماها ابن بطوطة (دمشق الصغيرة) وأثنى على مدارسها وطلابها وبعد سنة ٢٣هـ فتح (عاصم) (سجستان) وهي ولاية واسعة جنوبي هراة . ثم عين عاملاً على (كرمان) . كما فتح (الأحنف بن قيس) قاشان وخراسان وبقي العرب يسكنون سواحل الخليج العربي وجزره من ضمنها (خارج) حتى بعد سقوط الأمير (مهنا) ودخول الهولنديين (خارج) ثم الفرس إلا أن العرب لم يغادروا خارج[٧٩] .

واستقر آل حنظلة من بني تميم في (اصطخر) فلقد حدثت حركة (أبي بلال مرداس بن أدية) ومقتل أخيه عروة في البصرة عام ٥٨هـ/٦٧٧م وإرسال عدة جيوش لقتال مرداس وقتله عام ٦١هـ/٦٨٠م في مدينة (توج) فانتقل أبناء عروة من تميم إلى اصطخر عن طريق البحرين (نقلاً عن الأصطخري وابن حزم) وكانت ذرية مرداس في غنى هناك . وبلغ خراج آل حنظلة في اصطخر حوالي عشرة ملايين درهم مما يدل على القدرة الاقتصادية لهذه القبيلة في اصطخر وأن (محمد بن واصل الحنظلي) استولى على فارس وأرسلت له دار الخلافة العباسية جيشاً عظيماً لكنه هزمهم وقتل قائدهم فصفت له فارس ولكن انتهى أمر محمد بن واصل على يد (يعقوب بن الليث الصفار) أمير سجستان فهرب محمد بن واصل إلى سيراف فقتل هناك بعد هزيمة جنده .

ومن الآثار العربية في (اصطخر) قلعة زياد التي تحصن بها (زياد بن أبيه) عندما كان عاملاً للإمام علي رضي الله عنه ثم تحصن بها منصور بن جعفر اليشكري عندما كان عاملاً للأمويين على فارس .

ثم خرّبها محمد بن واصل الحنظلي بعد سيطرته على فارس ثم أعاد بناءها (عن الطبري والدينوري والاصطخري وابن حوقل وابن الأثير) هكذا تعد هذه القلعة شاهداً صريحاً على الاستقرار العربي الذي أعاد بناءها العرب أكثر من مرة .

كذلك استقر الأزد في اصطخر . ومن مدن اصطخر (البيضاء) مما يدل على الأثر العربي إلى اليوم .

وبعد عام ٧٣هـ/٦٩٢م استقر الخوارج خاصة (الأزارقة) في مدينة (نيسابور) وبلغ عددهم أكثر من عشرين ألف مقاتل . كما استقر فيها طائفة من العرب الهاشميين العلويين أحفاد محمد بن الحنفية واستقرت بها أيضاً أقوام عربية من بني أسد ومن بني هلال .

وشيراز : بناها (محمد بن القاسم الثقفي) بن عم الحجاج حين أرسله الحجاج لفتح السند وقد أخطأ المقدسي حين قال من بناء (شيراز بن فارس) ودليلنا ما ذكره الاصطخري عنها قال : وكانت شيراز معسكراً للمسلمين لما أناخو على فتح اصطخر فلما فتحوا اصطخر نزل محمد بن القاسم بهذا المكان فجعل فيها معسكر فارس وبناها

مدينة . ويحتمل أنها بنيت بين عامي ٨٥-٩٢هـ/٧٠٤-٧١٠م أي قبل فتح السند فجعلوها عاصمة للجانب الشرقي للخليج العربي ومقراً لدار الإمارة والحبس والدواوين - وأسماء دروبها عربية وظهر منها علماء عرب منهم إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن المثنى الباهلي الشيرازي والمعلى بن النظر وهو عراقي الأصل عمل كاتباً للحسن بن رجاء ومات في شيراز . ومن البيوتات آل حبيب وآل أبي صفية من مولي بأهله وبني مازن . كما استقر فيها الهاشميون والعلويون .

ولما تعرضت عاصمة الخلافة العباسية لهجوم المغول على يد هولاكو عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م هاجر بعض سكانها ومنهم من العلماء والتجار نحو الساحل الشرقي للخليج العربي وسكنوا في موانيه مثل (بستك) و (جهانكيريه) و (كونك) و (سيراف) ومنهم العباسيون والحسنيون والحسينيون والأنصاريون والهاشميون والمدنيون والصديقيون وغيرهم . ولقد عرف الخليج العربي دورات من الغنى والثراء طوال تاريخه الطويل حتى عام ١٥٠٠م فازدهرت الحركة العمرانية نتيجة الازدهار الاقتصادي في الخليج . وساهمت التجارة الشرقية والهند والشرق الأقصى مع الخليج مساهمة كبيرة في ذلك الازدهار . فازدهرت (صحار وصور والأبلة) قديما ثم (البصرة فسيراف) ثم جزيرة (قيس ومملكة هرمز) التي تحكمها أسرة عربية . وامتدت تجارتها من البحرين والقطيف إلى ساحل إيران وساحل الإمارات وعمان حتى ميناء القريات[٨٠] .

وبقيام الدولة الساسانية فقد قام (أردشير بن بابك) الذي حكم من ٢٢٦-٢٤١م وهو مؤسس الدولة بالاستيلاء على (ميسان) وجعلها ولاية تابعة لدولته بعد أن لعبت دوراً مهماً في التجارة بين الهند والبحر المتوسط عبر الخليج العربي لمدة أكثر من أربعة قرون وانتهت باستيلاء الساسانيين عليها[٨١] .

ولقد قاومت إمارة (ميسان) العربية الملك الساساني (أردشير) مقاومة ضارية حين أراد احتلالها ولم يستطع احتلالها إلا في ٢٢٦م . وقتل آخر حاكم عربي فيها[٨٢] .

وإن استقرار العرب في الساحل الشرقي قبل حملة(سابورذي الأكتاف) على شبه الجزيرة العربية واستمر استقرارهم إلى يومنا هذا . وزادت الهجرات العربية في عهد الدولة الأموية والعباسية . وامتد استقرارهم إلى المناطق الداخلية .

وأكد البحث ملكية جزيرتي (بني كاوان) و (قيس) للعرب .

وللعرب دور في حماية الخليج والأمن فيه وازدهار التجارة البرية والبحرية واهتموا بالإعمار كبناء مدينة (شيراز) عاصمة الجانب الشرقي بأجمعه . وبنوا القلاع والمساجد ودور الإمارة وبقيت أسماء عربية لسككها ودروبها وفي (أرجان وتوج) آثار لهم .

ونتيجة للنشاط التجاري في الخليج وما فيه من ثروات جعل عرب الخليج يهاجمون مملكة الساسانيين مما اضطر (شابور الثاني) ٣٠٩-٣٧٩م لمحاربتهم وخاصة أهل البحرين وإيقاف غزوهم لإقليم فارس . ولكن ظل النشاط التجاري مستمراً[٨٣] .

ومن أسباب الهجرات العربية نحو الساحل الشرقي للخليج (سياسة التهجير) فقد حدثت في عهد (الأشوريين) قبل عام ٦١٢ ق.م أن كانوا ينقلون بعض سكان المدن المناوئة إلى أماكن أخرى . كما أن (الكلدانيين) في عهد (بختنصر) قد نقلوا أربعين ألفاً من اليهود وأسكنوهم في بابل وذلك عام ٥٨٦ ق.م ويسمى (السبي البابلي) .

ومثله (سابور ذو الأكتاف) الذي حكم بين عامي ٣٠٩-٣٧٩م ففي مدينة (توّج) استقر بها العرب منذ عصور قديمة منذ القرن الرابع الميلادي حين أسكن (سابور ذو الأكتاف) بني حنظلة فيها ومعهم أعداد من بني تميم وغيرهم . وحررها العرب بقيادة عثمان وأخيه الحكم بن أبي العاص عام ١٩هـ/٦٤٠م وبنى المساجد وأسكنها بني عبد القيس . فكان عثمان بن أبي العاص يحارب أهل أردشير وغلبهم وناحية من بلاد سابور وبلاد اصطخر وأرخان . وكان جيشه من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية وأسكنهم هناك . ويقول ابن الجوزي أن عضد الدولة البويهي أسكن أقواماً من البادية في فارس وفي توج .

وقد اتخذ الخوارج وخاصة فرقة الأزارقة من مدينة (سابور) داراً لهجرتهم واستقرارهم . ويؤكد ذلك ابن أعثم بعد عام ٧٣هـ/٦٩٢م . وبلغ عددهم أكثر من عشرين ألف مقاتل . كما استقر فيها طائفة من العرب الهاشميين العلويين أحفاد محمد بن الحنفية واستقرت أيضاً أقوام عربية من بني أسد ومن بني هلال . وولي عضد الدولة البويهي القضاء ببغداد عام ٣٦٩هـ/٩٧٩م عربياً يسكن فارس . كما ذكر البلاذري والبغدادي وابن طباطبا .

وذكر الدينوري أن سابور ذو الأكتاف قام بتجريد حملة عسكرية كبيرة ضد العرب في السواحل الشرقية مما يدل على أن العرب يمثلون قوة كبيرة في سواحل بلاد فارس وقد سكن بنو تغلب (دارين) و (عبد القيس) وقبائل من (بني تميم) و (بكر بن وائل) في (كرمان) . وبني حنظلة في توج من كور فارس . وأسكن وجوههم مدينته المسماة (فيروز سابور) .

وفي ٢٨٨م لما تولى (امرؤ القيس بن عمرو بن عدي) الحكم في دولة اللخميين (المناذرة) وعاصر كسرى الفرس (سابور ذا الأكتاف) فأوعز امرؤ القيس إلى قبيلة (عبد قيس) ومن يسكن البحرين فتحالفت (أياد والأزد) مع اللخميين وقاموا بمهاجمة سواحل فارس فعبروا بسفنهم الخليج وهاجموا بلاد فارس حتى أصبح الخليج بشطريه تحت إمرة (امرؤ القيس)(٨٤) .

وفي عام ٣٠٩م نقل (سابور نرسي بن بهرام) ويسمى (سابور ذو الأكتاف) بعض عرب البحرين من قبيلة (عبدقيس) و (الأزد) إلى (كرمان)(٨٥) .

وفي عام ٣٥٠م أسكن (سابور الثاني) بني حنظلة في (الأهوان)(٨٦) .

وتجدد كفاح العرب للساسانيين إذ هاجمت تميم (ربما في عام٣٥٠م) قافلة تجارية ساسانية مما دفع كسرى (إيحسروين) أن يكتب إلى عامله على (هجر) وهو (المكعبر) أن ينتقم من (تميم)، فنزح بعض (بني تميم) إلى (خوزستان) ثم (كرمان) . وأن العرب نزحوا إلى السواحل الجنوبية من أرض فارس وتوغلوا شرقاً إلى (خوزستان) ثم (كرمان) و (فارس) . واشترك العرب بالأسطول الساساني مع الفرس فكونوا بحرية فارسية جديرة بالإعجاب .

وكانت (البحرين) تخضع لحكم (الساسانيين) عند ظهور الإسلام . أما حاكمها الفعلي فهو رجل من العرب على دين النصرانية وهو (المنذر بن ساوى التميمي)(٨٧) .

وكان الصراع بين (تميم) و (بكر بن وائل) المتجاورتين في سكنهما بالجزيرة العربية ، وكانت (بكر) على علاقة جيدة مع الفرس ويستخدمهم الفرس لتأمين وصول قوافلهم التجارية التي تمر في طريقها لليمن وشرق أفريقية وبالعكس تمر من منازل (تميم)

. أما (تميم) فقد رفضت الرجوع للسيطرة الفارسية . ولكن لما حدثت معركة (ذي قار) ٦١١هـ بين (بكر) والفرس وانتصرت (بكر) وكان مع بكر من (تميم)[٨٨] .

وهاجمت (عبد القيس) و (تميم) حدود فارس، مما دفع (سابور الثاني) عام ٣٥٠م إلى مهاجمتهم وغزوهم . ولما ثار عرب (البحرين) ضد الفرس على ما ذكر (الطبري) كان (سابور) في حملة على البحرين[٨٩] .

ولما ضعفت دولة فارس نتيجة للصراع التاريخي لها مع الدولة العثمانية من جهة، وساءت إدارتها الداخلية وضعف حكامها مما أفسح المجال أمام ما يمكن أن نسميه دويلات المدن أو المشيخات على الساحل الشرقي للخليج أن تستقر وتنمو وتتطور[٩٠] .

وذكر (الدينوري) : أن سابور نقل من قبيلة بكر بن وائل إلى (كرمان) وأسكنهم فيها . وأن المظفر حاكم فارس و(كرمان) زار البحرين عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م وهو عربي . وأن من (الأزد) انطلقوا نحو (كرمان) وأسس سليمان بن مالك إمارة حكمها هو وأولاده من بعده حيث استقر في (جاسك) أو (جاشك) وتزوج هناك وملك سليمان (كرمان) حتى توفى واختلف أولاده من بعده فزال حكمهم[٩١] .

والقواسم من (الظفير) ومن أرض العراق وفي قول من (عنزة) نزحوا من نجد وحكموا (لنجه) وعاد القواسم للساحل الغربي من الخليج في عام ١٣١٧هـ . بينما كتب كيلي : عن بعض المصادر أنهم ينتسبون إلى قبيلة (نزار) الذين هاجروا من نجد إلى عمان في حوالي القرن السابع عشر . وأمر حاكم فارس (ميرزا محمد خان) لغزو (سيف بن سلطان) إمام عمان لمساعدته للهولة بست سفن في تمردها ضد الإيرانيين .

ورجح آخرون أنهم نزحوا من العراق عن طريق فارس ثم إلى الساحل الغربي خلال القرن الثامن عشر بعد وفاة (نادر شاه) وكان القواسم يسكنون الساحل الإيراني من (جمبرون) إلى (راس بردستان) وذلك عام ١٧٤٢م .

وبعد وفاة (نادر شاه) ١٧٤٧م استولى القواسم على (لنجه) واحتلوا جزيرة (قشم) . ويستطرد كيلي بقوله :

إن عرب (الهولة) الأوائل زحفوا على الساحل الفارسي في فترات تاريخية سابقة . وقال : ووستن وكلايف في رحلته من إنجلترا للهند عام ١٧٥٧م في طريق غير معتاد

قال : أن ملا علي الحاكم الفارسي (لكمبرون) وهو عربي، وكانت جزر (جرون) و (لارك) تابعة له، وبرزت قوة (القواسم) ضد الغزاة، وثبت الإنجليز قوتهم بإثارة النعرات الطائفية والقبلية والعنصرية في الخليج حتى حققوا مآربهم الاستعمارية .

والواقع أن البناء القبلي في الخليج كثير التعقيد إذ كانت السيطرة لقبيلتين فيه هما : (**القواسم**) في الشمال و (**بنوياس**) في الجنوب[٩٢] .

وبقيام دولة البو سعيديين هزم أحمد بن سعيد الفرس . وحدث خلاف أسري فاستغل (القواسم) فرصة النزاع القبلي والأسري بين البو سعيديين فاعترف البو سعيديون بسلطة القواسم في رأس الخيمة عام ١٧٧٢م . وأخيراً استولى القواسم على بعض من سواحل عمان واستمر النزاع بين القواسم وسلاطين عمان حتى نهاية القرن الثامن عشر[٩٣] .

وكان عرب المرازيق يملكون (لنجه) و (كونك) في الفترة من ١٧٤٧-١٧٥٦م ثم حكم شيخ عرب القواسم (كونك) ثم حكم رأس الخيمة في عام ١٧٥٦م[٩٤] .

أما لنجه : مدينة في إيران على بعد حوالي أربعة أميال شرقي (كونك) الميناء على الساحل الشرقي للخليج العربي . و(كونك) جزيرة عربية تقع على بعد عشرة كيلومترات غرب (رأس مسندم) وفيها قلعة مستديرة تحيط بها المياه عند ارتفاع الماء ومصنع في غربها يمتلكه البرتغاليون وبقايا أحواض السفن[٩٥] ويبعد المرسى عن الشاطئ حوالي ميل ونصف .

وبعد زوال الصفويين في عمان عام ١٧٢٢م زادت حركة الهجرة من داخل عمان ومن داخل نجد إلى السواحل العربية والإيرانية للخليج . ونتيجة لذلك تحالفت موانئ الخليج كالكويت والزبارة ورأس الخيمة وأبوظبي ولنجه لتشكل خريطة سياسية للخليج ثم اصطدمت إمارة (القواسم) مع البريطانيين في أوائل القرن ١٨ بعد أن أقام القواسم لهم في (باسيدو) في جزيرة (قشم) مركزاً للتجارة مع الهند مما أثار شركة الهند الشرقية فحدث صراع انتهى في حملة على (رأس الخيمة) وموانئ عمان ١٨١٩م ثم فرضت حكومة الهند معاهدة سمتها معاهدة السلام على شيوخ السواحل . وكان ميناء (لنجه) هو الميناء المزدهر في القرن ١٩ ثم ظهرت وانتعشت (دبي) كميناء في الخليج بعد أن فرضت

إيران نفوذها على الساحل الإيراني فاحتلت جزيرة (صري) عام ١٨٨٧م ثم سيطرة على إمارة القواسم في (لنجه) عام ١٨٩٩م وهاجر تجار (لنجه) إلى ميناء (دبي) وكان ذلك في ١٩٠٢م وضيق البريطانيون على سكان الخليج ولم يبق لديهم إلا تجارة اللؤلؤ وبظهور أزمة دولية اقتصادية عام ١٩٢٩م ثم ظهور النفط في الثلاثينات تدهورت الأحوال الاقتصادية في الخليج وخاصة تجارة اللؤلؤ وحلت محلها تجارة النفط .

وكما قال ماركوبولو (إذا كان العلم خاتماً فإن هرمز وموانئ الخليج كانت دائماً زمردته)[٩٦] .

وفي العصر الحديث هاجر بعض الأفراد والجماعات إلى بلاد إيران ومنهم الشيخ (حجي بن حميدان المتوفى عام ١١٩٢هـ وهو من القبائل النجدية التي سكنت في أطراف بلدان إيران مما يلي العراق ، وولد في بلاد فارس وشب سلفياً فقرأ في بلاده ثم توجه إلى ألاحساء فقرأ على الشيخ عبد الله بن فيروز ثم على ابنه وكان فقيهاً عربياً عاش بقية عمره في مدينة الزبارة بأرض قطر[٩٧] .

وورد في اتفاقية في (مذكرات لملاح تاجر) بتاريخ ٢ جمادى الآخرة ١٢١٧م الموافق أكتوبر ١٨٠٢م قوله : "وجماعة أهل فارس من (بندريق) و(كابندي) هم و(زعاب) إلى (القسم)، كلهم أهل السواحل هم في عهد سلطان مسقط إلا أهل (لنجه) . ومن أهل الكويت إلى رأس الخيمة في عهد سلمان بن أحمد آل خليفة الخ . "[٩٨] .

ومن الأسر التي هاجرت من نجد إلى بر فارس وهم على المذاهب الأربعة ويتكلمون العربية مع اللغة الفارسية ومنهم (المرزوقي) و (المناصير) وسكنوا في (مغو) و (شيبكوه) عام ١١٦٩هـ ثم في (نخيلوه) . أما (آل علي) و (بنو بشر) فقد هاجروا من اليمن ثم نزلوا نجد في القرن العاشر الهجري ومنها إلى (شيبكوه) ثم استقروا في (جارك) ١١١٥هـ جزيرة (قيس) . ومثلهم (العبيدلي) وقد هاجروا من اليمن ثم نزلوا نجد ونزحوا منها عام ٩٥٠هـ إلى (العديد) و (البحرين) .

أما (الحرمي) أو الهرمي فهجرتهم من مكة المكرمة ونسبوا إلى الحرم المكي الشريف ونزلوا في الجزيرة العربية ثم هاجروا إلى (بستانه) في (بر فارس) واستقروا أخيراً في (عسيلوه) .

وسكن (التميمي) في (بوشهر) و(شط بني تميم) وحكمهم النصور في (الطاهرية) وهي (سيراف سابقاً) و (القابندية) و (بندر عباس) واستمروا أسياداً في (شط بني تميم) وما حولها . وهاجر (بنومالك) عام ١٠٦١هـ إلى بر فارس .

كما سـكن (بنو حماد) و (الدواسر) في (نخيلوه) من بر فارس بـعد هجرتهم من نجد .

وهناك كثير من الأسر وبطون القبائل التي هاجرت في العصر الحديث في (بر فارس) وسواحل الخليج العربي عبر التاريخ . ثم عادوا (بهجرة معاكسة) نحو السواحل الغربية للخليج العربي وذلك نتيجة تعيين حكام عجم على قراهم وإعلان قانون التجنيد بعد أن كان الجميع في خدمة شيوخهم . ثم تجميع إيران للسلاح من سكان بر فارس، والضغط الذي فرضته عليهم إيران وعلى شيوخهم وما صاحب ذلك من جفاف . كل ذلك وغيره أدى إلى هجرتهم من بلاد فارس وعودتهم إلى ديارهم العربية التي نزحوا منها[٩٩] .

د. علي أباحسين
مدير مركز الوثائق التاريخية
مملكة البحرين

الهوامش

١ — د. أباحسين، علي عبد الرحمن، تاريخ الجزيرة العربية، جـ١، ط١، طبع دار قريش، مكة ١٩٦٦م، ص٥١-٥٢ ؛ وبرنارد لويس، العرب في التاريخ، طبع بيروت ١٩٥٤م، ص٩ ؛ والتوراة، أرامیا، الفقرة الثانية، ص٤٣٤ ؛وانظر المجلة الثقافية، العدد ١٩٩٤/٣١م، عمان (الأردن)، الدلالة اللغوية والتاريخية ؛وابن منظور، لسان العرب، جـ٢، ص٣٢٢، بيروت .

٢ — أركايف أدشن، المجلد السادس، طبع لندن، ١٩٦٦م، ص٣٨٣ ؛ وحافظ الشيخ صالح، أخبار الخليج، العدد ٨٤٣٣، في ٢٥ أبريل ٢٠٠١م .

٣ — سمير عبد الرازق القطب، أنساب العرب. ط١، بيروت ١٩٦٨م، ص٢١٣ ؛ والمزيني، أحمد عبد العزيز، أنساب الأسر والقبائل في الكويت، ط١، مطبعة ذات السلاسل، الزيت ١٩٩٤م ص٢٥٣ ؛ والحقيل، أحمد إبراهيم عبد الله، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط٨، الرياض ١٩٨١م، ص٣٣٠-٣٤٣ .

٤ — د. الرميحي، محمد، قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين، ص٥٢ ؛والمزيني، مصدر سابق ص٢٥٣ .

٥ — المنجد، ط٢٤، بيروت، ص٣٦٦ ؛ الأحمد، د. سامي سعيد، الوثيقة .

٦ — د. إيه. إم. دي. دالفي، تأثير اللغة العربية على اللغات الهندية، مجلة الهند، العدد١٤٠، يوليو ١٩٩٥م، ص٢٦ .

٧ — العرب، حمد الجاسر، ج٩و١٠، ص١٠، مارس ١٩٧٦م، خراسان : إقليم في فارس، ونيسابور : أهم مدن خراسان في العصور الوسطى ؛ السامر، د. فيصل، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ط٢، بغداد ١٩٨٦م ص٦٢-٦٥ .

٨ — الحقيل، مصدر سابق، ص٣٣٠-٣٤٣ .

٩ — د.عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب، ط١، بيروت ١٩٩١م، ص٢٣-٢٦-٥٩-١١١-١٢٢ ؛والزركلي، الإعلام، جـ٣، بيروت ١٩٨٠م، ص٢٨٩-٢٩٠ .

١٠ — د. أباحسين، علي، الناحية الثقافية في مكة المكرمة في العصر العباسي، بحث غير منشور، ص٣٣٣-٥٤٦ ؛ عن ابن الأثير٩/٥٣٥، وياقوت ٥/٣٩٦، بيروت ١٩٥٧م .

١١ — د. محمد حسن، نظامية نيسابور، مجلة الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، العدد ١٥ /٢٠٠٣م، ص٥٥-٦٥ .

١٢ — الزركلي، الإعلام، جـ٧، ط٥/١٩٨٠م بيروت،ص١٥٣ ؛ ومحمد أعظم، تاريخ جهانكيريه بني عباسيان بستك، طبع بستك ١٣٣٩خ، ص١٤-٤٧، ١٣٨٠ق. .

١٣ — كاظم باقر علي، البحرية الفارسية في الخليج العربي، ص٢٦ .

١٤ — محمد يوسف، البضائع الهندية وأسماؤها العربية، مجلة ثقافة الهند، العدد الرابع، ديسمبر ١٩٥٥م، دلهي، بحث التجارة والملاحة في الخليج العربي، ص١٦٢ .

١٥ — صالحة المسكري، علاقة عمل بشرق أفريقيا. عمان ٢٧ مارس ١٩٩٥م، ص٨ .

١٦ — د. الشمري، محمد كريم إبراهيم، الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي، الوثيقة، العدد ٣٣، يناير ١٩٩٨م، ص٩٠ .

١٧ — الأحساني، تحفة المستفيد/١، ص١٠١ .

١٨ — سالم سعدون، جزر الخليج العربي، بغداد ١٩٨١م، ص٥٧ .

١٩ — ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٤٢٢، بيروت/١٩٧٧م .

٢٠ — أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان، لمؤلف مجهول (ربما الزمخشري)، (مخطوط في مكتبة حاج سليم أغا، في استنبول برقم ٧٥٦) .

٢١ — تورونخا، حياة ملوك هرمز، طبع لندن ١٧١٥م، ص٧٥ .

٢٢ — ن.م.س. ص٧٥ .

٢٣ — ابن بطوطة، تحفة النظار، جـ١ مصر ١٩٢٨م، ص١٧٦ .

٢٤ — (الدباء) (القرع اليابس) صحيح ١/٢٣/ والمنجد ٢٠٥ .

٢٥ — (الحنتم) الجرة الخضراء، الصحاح ١٥٨/الجرة الخضراء تعمل من طين وشعر وأدم ١/٢٣ صحيح .

٢٦ — (النقير) الخشبة التي تنقر للشراب، المنجد ٣٨١/ أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء أو ما ينقر في وسطه فيوعي فيه/ صحيح١/٢٣ .

٢٧ — الإقليد : جمعه أقاليد وهو المفتاح باليونانية، المنجد ٢٢/ والإقليد : خيط من الصفر أو النحاس يقلد ويلوى على حلقة القرط أو الخاتم، المنجد، ص٢٢ ؛ وفي صحيح البخاري، أمر عبد القيس بالإيمان (الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وأعطوا خمس ما غنمتم ونهاهم ألا يشربوا في الدباء والحنتم والنقير والمزفت)، صحيح ١/٢٣ و٥/١٣٦ و ٧/١٤٨ .

٢٨ – مسند ابن حنبل، ص٢٠٦ المجلد الأول، بيروت، دار صادر ؛ والنجم، د. عبد الرحمن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام، ط١، بغداد ١٩٧٣م، ص١٠٣ .

٢٩ – الخليج العربي، العدد ٢، ص١٣، نقلاً عن لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، الجزء الخامس، ص١٣٧ .

٣٠ – د. حسام الخادم، الوثيقة، العدد ١٧ يوليو ١٩٩٠م، ص٥٠ .

٣١ – سومر، الجزء ١و٢، المجلد الثلاثون، ١٩٧٤م، بغداد، ص٣٤٤ .

٣٢ – د. منذر البكر، صور من كفاح عرب الخليج، مجلة الخليج العربي، العدد٢، السنة الثانية، البصرة ١٩٧٥م، ص٣٣ ؛ راجع المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، طبع بيروت ١٩٦٨م، جـ١، ص٥٤٤ .

٣٣ – عبد الرحمن عثمان الملا، تاريخ هجر، جـ١، ص٢٦-٢٧-٢٨، ومن مدنهم (جبيل وعالي وصور وأرادوس وتاروت) ؛ A. Grohmann, Arabian Munchen, p. 15-21.

٣٤ – د. الهاشمي، رضا جواد، النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية، المؤرخ العربي، العدد ١٢، ص٥٧-٧٢-٧٨، نقلا عن فرانسيس جولدفن، المؤرخون الإغريق، طبع نيويورك ١٩٤٢م ؛ هيرودوتس، مجلد ٧، ص٨٩ ؛ وولسن، الخليج الفارسي ١٩٢١م، ص٤٦ ؛ والمنجد ط٢٤، بيروت، ص٧٣٦ .

٣٥ – د. منذر البكر. كفاح عرب الخليج، مجلة الخليج العربي. العدد ٢، ص٣٩ .

٣٦ – د. جواد علي، الخليج عند اليونان واللاتين، المؤرخ العربي، العدد ١٢، بغداد ١٩٨٠، ص ٢٥-٢٦ .

٣٧ – د. النجار، ود. أبو مغلي، جزيرة خارج من جزر الخليج العربي، ١٩٨٣م، البصرة، ص١١ .

٣٨ – د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ٢، ص١٨ و٤، ص٤٨٥ ؛ وتاريخ العرب قبل الإسلام، ص٤١٤، طبع بغداد، ١٩٥٣م ؛ ود. البكر، الخليج العربي ٢/٣٨/١٩٧٥م .

٣٩ – د. منذر البكر، صور من كفاح عرب الخليج، مجلة الخليج العربي، البصرة ١٩٧٥م، العدد ٢، ص٣٨، نقلاً عن الهمداني (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، طبع القاهرة ١٩٥٣م، تحقيق ابن بليهد النجدي، ص١٧٣ .

٤٠ – عبد الرزاق الحصان، ميسان الإمارة العربية، ص٢٠٢ .

٤١ – عبد الله إبراهيم العسكر، هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية، الدارة، العدد ٣، ١٤١٣ هـ، ص٣٧ .

٤٢ – د. عبد الرحمن النجم، البحرين في صدر الإسلام وحركة الخوارج، ص٤٤ .

٤٣ — الخليج العربي ٢/ص٣٧، طبع البصرة ١٩٧٥م، الأزد من قحطان ومنهم الأوس والخزرج ومنهم سبع وعشرون قبيلة ؛ أنظر المنجد ص٧٠٦ .

٤٤ — محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي، ص٣٩، عن أبي عبيدة، النقائض ٢/ ٦٤٧ ؛ وانظر البحرين عبر التاريخ ١/١٢٣ .

٤٥ — عبد الرحمن النجم، البحرين في صدر الإسلام وحركة الخوارج، ص٤٣ .

٤٦ — د. منذر، الخليج العربي ٢/٣٨/ البصرة ١٩٧٥م، عن نيكلسن، ص١٠٤ .

٤٧ — د. النجار ود. أبو مغلي، جزيرة خارج من جزر الخليج العربي، طبع البصرة ١٩٨٣م، ص٧ ؛ ود. بهجت، ص٤٣ .

٤٨ — العسكري، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ص١٠٥ .

٤٩ — د. بهجت، ص٤٧-٤٨، نقلاً عن الطبري، ٤/١٨٠، وجزيرة خارج من جزر الخليج العربي، ص٢٦ .

٥٠ — كاظم باقر علي، البحرية الفارسية في الخليج العربي ص٢٧-٢٨-٣٠ .

٥١ — معجم البلدان، ٧/٣٠٦ .

٥٢ — ابن بطوطة ١/٢٢٠-٣٤٤ ؛ وانظر الشاعر ابن المقرب، د. أحمد موسى الخطيب، الوثيقة، العدد ٢٣، ص١٣٢ .

٥٣ — أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، ص٤، مشيراً إلى ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٢٩٤ ؛ وأداموف، ترجمة نوري عبد البخيت، أنظر مجلة الخليج العربي. العدد ٩، ص١٠٨، البصرة ١٩٧٨م ؛ كما ذكر ذلك كارل رتر .

٥٤ — الوثيقة، العدد ٣٣، ص٨٥، د. محمد إبراهيم الشمري .

٥٥ — ن.م.س. ص٨٥ .

٥٦ — ابن بطوطة، تحفة النظار، جـ١، مصر ١٩٢٨م، ص١٧٦ .

٥٧ — القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العبادو ص١١١ .

٥٨ — وانظر نوري عبد البخيت. الخليج العربي، ٩/١٠٩ .

٥٩ — مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤٠، عمر الخالدي، عرب حضرموت في حيدر أباد، ص١٣٨-١٥١ .

٦٠ — د. جعفر كرار أحمد، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٩٢، ص١٢٧-١٣٣ .

٦١ — ن. م. س. العدد ٩٢، ص١٣٦-١٣٩ .

٦٢ — د. محمود علي الداود، محاضرات عن الخليج العربي ؛ ولوريمر، ص٤٢٩ ؛ وبرنارد، سلطان الإسلام، طبع مارس ١٩٠٧م ؛ البرنامج الكبير، ويلسون، الخليج العربي .

٦٣ — د. النجار ود. أبو مغلي، جزيرة خارج، ص١٤ .

٦٤ — سلوت، عرب الخليج، ص٦٥ .

٦٥ — أنظر الوثيقة، العدد ٣٣، ص٢٥٢، ترجمة الدكتور عيسى أمين، ص١٥٢-١٦١-١٩٩، البحرين .

٦٦ — سلوت، عرب الخليج، ص٤٠-١١٠ .

٦٧ — سلوت، ص٣٧-٣٨-٤١ .

٦٨ — الوثيقة، العدد ٣، نيبور، ص١٧٦ ؛ وانظر سلوت، ص٥-٤٢-٧٢ ؛ والمنجد، ط٢٤، بيروت ص٧٢٠ ؛ والمزيني، مصدر سابق، ص٢٥٣ ؛ ود. الرميحي، مصدر سابق، ص٥٢-٢٤٨ .

٦٩ — حاتم، محمد غريب، تاريخ عرب الهولة، ط١، القاهرة ١٩٩٧م، ص١١-١٤ .

٧٠ — عبد الرحمن الملا، تاريخ هجر، جـ١، ص٣٣-٣٥ .

٧١ — د. محمد أرشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص٩٣ .

٧٢ — المؤرخ العربي، العدد ١٩، ص١١، ١٩٨١م .

٧٣ — فؤاد الراوي ود. مصطفى النجار، عربستان، طبع ١٩٨١م ص١٣-٢٠ ؛ وعرب الخليج، ص ٣١ .

٧٤ — أنظر الطبري، جـ٤، ص٨١ ؛ وسنان،ص٤٧ .

٧٥ — د. عبد الحسين علي أحمدو انتشار القبائل العربية في خراسان من الفتح حتى نهاية الحكم الأموي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية في جامعة قطر، الدوحة ١٩٩٨م، العدد ١٠، ص٩٩ .

٧٦ — الوثيقة، العدد ٣٣، ص٩٤ ؛ والحموي ٢، ص٥٦ .

٧٧ — د. أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، بحث غير منشور .

٧٨ — د. بهجت كامل التكريتي، تميم ودورها السياسي والعسكري في صدر الإسلام، الخليج العربي، العدد٩٢، ١٩٧٨/٩، البصرة، ص٧٤، عن الطبري ٤/٧٧-٢٦٥ ؛ والبحرين درة الخليج العربي، ص٤٧ ؛ ومحمود شيت خطاب، قادة فتح فارس، ص٢١٧-٣٢٣ ؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص٩٤-٣٩٨ ؛ مجلة رؤى، العدد ٦، شوال ١٤٢٠هـ، أهم مواطن

استقرار العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، د. عبد الرحمن الفريح، ص ١٦ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية، جـ٣٢، ط١، ١٩٨٨م بريل، ص١٠٠٧-١٠٠٨ .

٧٩ — د. بهجت، ص٤٧-٤٨، نقلاً عن الطبري ١٨٠/٤ ؛وجزيرة خارج من جزر الخليج العربي، ص٢٦ ؛ وياقوت ١٩٠/٤ .

٨٠ — د. محمد مرسي عبد الله، الخلفية التاريخية لموانئ الخليج،ص٨ ؛ والمؤرخ العربي، العدد ٢٢ ، ١٩٨٦م ؛ والوثيقة، العدد ٣٣، ص٨٨-٩٠ .

٨١ — د. النجار ود. أبو مغلي، جزيرة خارج من جزر الخليج العربي، ص٧، البصرة ١٩٨٣م .

٨٢ — د. منذر البكر، صور من كفاح عرب الخليج في عصر ما قبل الإسلام، الخليج العربي، العدد الثاني، ١٩٧٥م، البصرة، ص٤١، نقلاً عن آرثر كرستنس، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧م، ص٧٥ .

٨٣ — د. رضا جواد الهاشمي، النشاط التجاري في الخليج العربي، المؤرخ العربي، العدد١٢، ص٦٤ نقلاً عن ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١، ص٣٩٢-٣٩٣، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م ؛ والوثيقة، العدد ٣٣، ص٧٩-٩٤-٩٦-٩٧ .

٨٤ — البحرين عبر التاريخ، ١٠٢/١-١٠٣ ؛ وانظر ابن خلدون، مجلد ٢، ص٥٤٨ ؛ والوثيقة، العدد ٣٣، ص٧٩-٩٤-٩٦-٩٧، نقلاً عن البلاذري وياقوت والبغدادي وابن طباطبا والثعالبي والبكري، وعن أبي دريد والدينوري ؛ ود. العسكر، عبد الله إبراهيم، هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية، الدارة، العدد٣، الرياض ١٤١٣هـ ص٣٢ .

٨٥ — الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعبد الملك الحمر، البحرين عبر التاريخ، جـ١، ص١٠٢-١٠٣ نقلاً عن ابن خلدون ٥٤٨/٢ .

٨٦ — دائرة المعارف الإسلامية ٤٣/٤ ؛ والطبري ٥٧/٢-٦٩ .

٨٧ — د. منذر البكر، صور من كفاح عرب الخليج في عصور ما قبل الإسلام، الخليج العربي، العدد ٢، ١٩٧٥م، البصرة، ص٤٢، نقلاً عن الطبري، جـ٢، ص١٦٩-١٧٠ ؛ و F. Altheim, R. Stiehl Die Araber, P. 345-349.

٨٨ — د. بهجت كامل التكريتي، تميم ودورها السياسي والعسكري في صدر الإسلام، الخليج العربي، العدد ١٩٧٨/٩م، البصرة، ص٣٨-٣٩ .

٨٩ — الخليج العربي، العدد ٢، ص٤١ .

٩٠ — سلوت. عرب الخليج، ص٣٨١ .

٩١ — الوثيقة، العدد ٣٣، بحث للدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري، ص٧٩-٨٠ .

٩٢ – جعفر محمد السقاف، القبائل العربية في الخليج العربي، آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣٥، أكتوبر ٢٠٠١م، ص٩٥-٩٩ ؛ ومايلز، بلدان وقبائل الخليج، طبع إنجلترا ١٩٦٦م، ص٦٨-٢٥٦-٤٤٤ ؛ وكيلي، بريطانيا والخليج، طبع مسقط ١٩٥٦م، جـ١، ص١٨-٣٥-٥١ ؛ وكيلي، مجموعة سجلات الهند، المجلد ٢٩٦، مجموعة ٥٦٤٦، إعداد الكابتن (ستون) المقيم السياسي بمسقط، بتاريخ ١٨٠٧/٧/٢م ؛ وانظر أيضاً المجلد ٢٤ من مقتطفات سجلات حكومة بومباي، ص٣٠٠ ؛ وكتاب (صور تاريخية لقبيلة القواسم العربية) من عام ١٧٤٧ حتى ١٨١٩ م، تأليف واردن ؛ وكتاب (بادجر)، ص١٠ ؛ وانظر القزويني، ص٢١٧-٢٢٢ .

٩٣ – د. الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١، الكويت/١٩٧٨م، جـ١، ص٨٢-٨٣ .

٩٤ – سلوت، عرب الخليج، ص٣٩-٢٥١ .

٩٥ – لوريمر، دليل الخليج، الجزء الثالث، ص١٢٣٩-١٢٥١-١٢٩٠ .

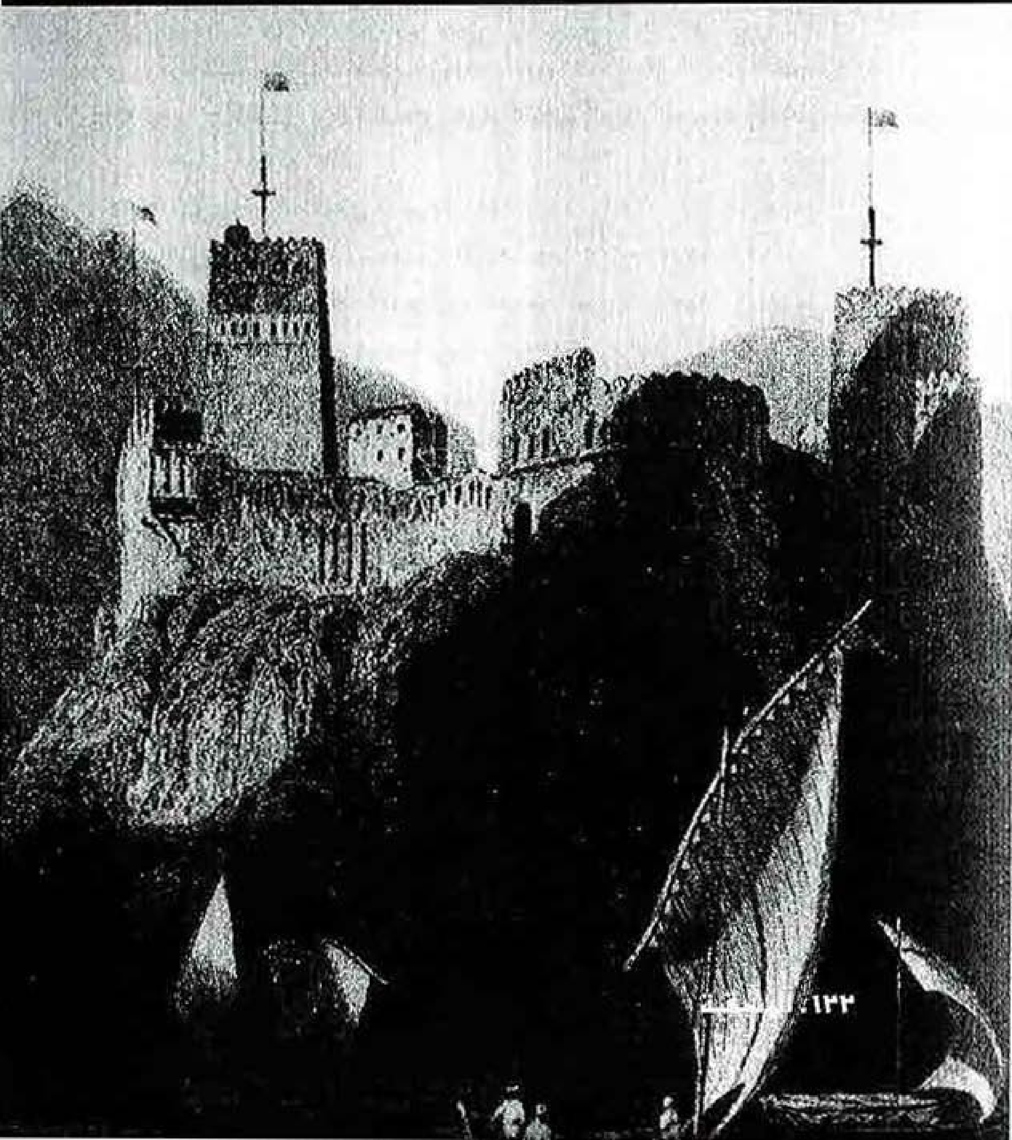
٩٦ – د. محمد مرسي عبد الله، المؤرخ العربي، عدد ٢٢، ص٨، ١٩٨٦م .

٩٧ – البسام، علماء نجد في ستة قرون، ٢١١/١ .

٩٨ – جابر بن عبد الخضر، عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز أهل البحر، (مخطوط) ص٥٠، تحقيق الدكتور علي أباحسين، الوثيقة، العدد الثاني، يناير ١٩٨٣م،ص٨٢-١٢٣ . مرفق صورة الصفحة ٥٠ من المخطوط .

٩٩ – حاتم، محمد غريب، تاريخ عرب الهولة، طبع القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٩-١٦٣ .

العلاقات العمانية



ة البريطانية
١٩٣٠ - ١٩٣٩م



بقلم : الدكتور فاضل محمد الحسيني

تميزت العلاقات العمانية البريطانية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وبالتحديد منذ عام ١٩٣٠م عندما تنازل السلطان تيمور بن فيصل عن الحكم في عمان طوعاً ولغاية نشوب الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٣٩م، بعدم الثبات في وتيرتها إذ تناوبت بين التأزم لدرجة القطع حيناً والعودة إلى طبيعتها المعهودة من المتانة والقوة أحياناً أخرى وذلك بسبب أهمية الأحداث التاريخية التي شهدتها عمان إبان تلك الحقبة الزمنية ١٩٣٠-١٩٣٩م والتي تركت بصماتها واضحة على علاقة عمان بالإنجليز سلباً وإيجاباً .

سنتناول موضوع هذا البحث بالدراسة والتحليل من خلال الوثائق الإنجليزية غير المنشورة والمنشورة فضلاً عن المصادر والمراجع العربية والمحلية وفق المحاور التالية :

١ – تنازل السلطان تيمور بن فيصل عن الحكم وموقف بريطانيا منه .

٢ – تولي سعيد بن تيمور الحكم في عمان عام ١٩٣٢م وتأزم العلاقات العمانية البريطانية .

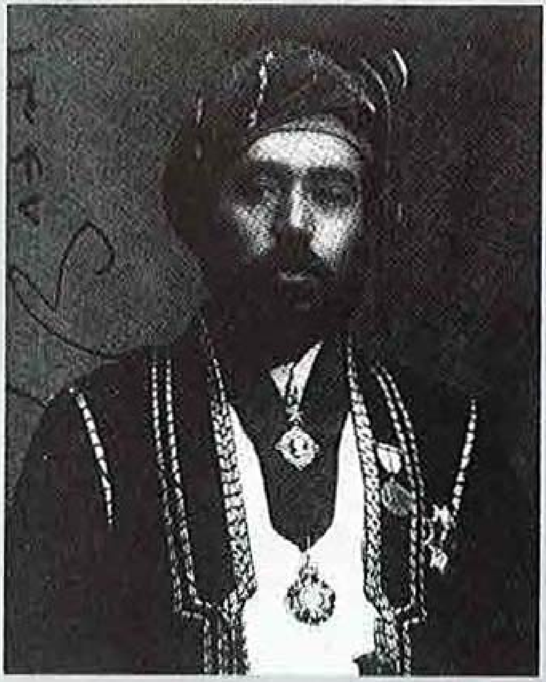
٣ – عودة العلاقات الطبيعية بين عمان وبريطانيا .

أولاً : تنازل السلطان تيمور بن فيصل عن الحكم وموقف بريطانيا منه .

غادر السلطان العماني تيمور بن فيصل العاصمة مسقط في شهر سبتمبر من عام ١٩٣٠م متوجهاً إلى مدينة كشمير في الهند ليعلن من هناك تنازله عن الحكم في عمان[١]، والواقع لم يكن هذا التنازل هو المحاولة الأولى للسلطان بهدف التخلص من أعباء الحكم وإنما سبقته محاولات عديدة جابهتها الحكومة البريطانية بالرفض الشديد، ففي عام ١٩١٩م أبدى السلطان تيمور رغبته بالتنازل عن الحكم أمام "وينجت" الوكيل السياسي البريطاني في عمان طالباً منه العيش خارج عمان والاكتفاء براتب متواضع يخصص له كي يعيش عليه[٢] .

وفي عام ١٩٢٠م كرر السلطان المحاولة، إذ تقدم بطلب إلى حكومة الهند البريطانية أعرب فيه عن رغبته في التنازل عن الحكم إلا أن حكومة الهند البريطانية رفضت ذلك متذرعة بحجة عدم وجود من يخلفه في الحكم[٣] .

وفي مقابلة تمت بين السلطان تيمور والكولونيل بيسكو (Biscoe) المقيم البريطاني في الخليج العربي عام ١٩٣٠م أبدى خلالها السلطان عزمه على التنازل عن الحكم، لكن المقيم البريطاني نصحه بعدم الإصرار على موضوع التنازل وأنذره بأن ذلك سيعود عليه



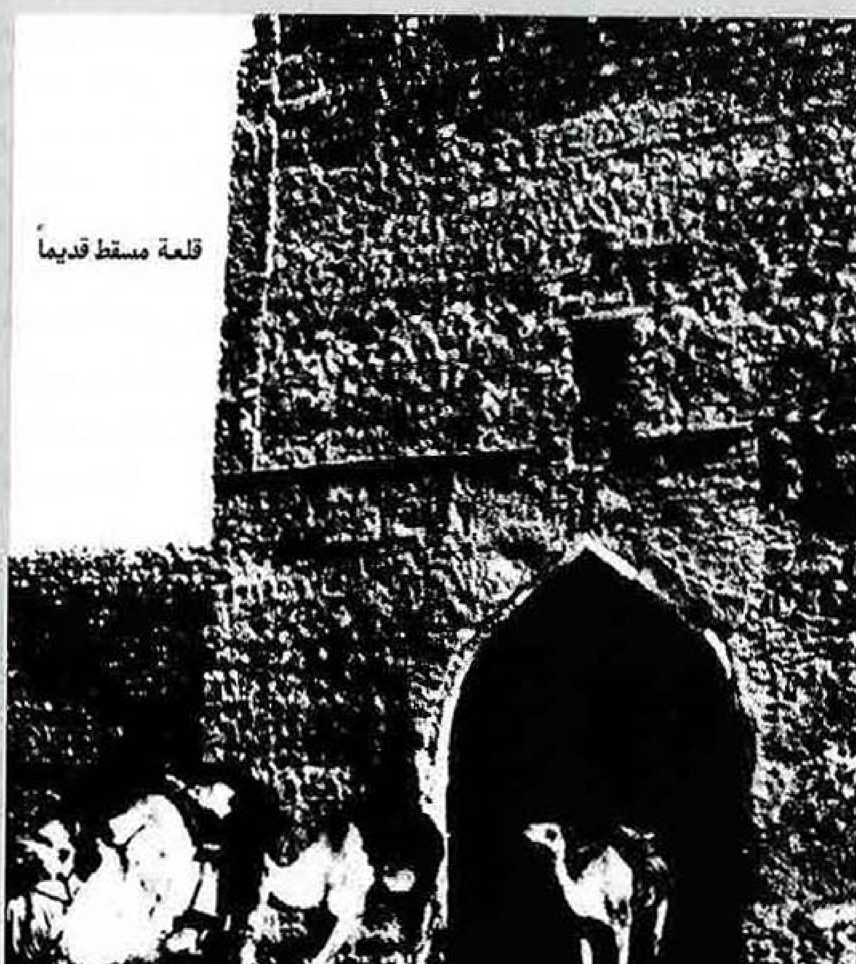
تيمور بن فيصل



سعيد بن سلطان



مدخل قلعة البوريمي



قلعة مسقط قديماً

بالعواقب الوخيمة طالباً منه التريث حتى تتوصل بريطانيا إلى حلول للمشاكل التي تعاني منها عمان والتي تدفعه للتنازل عن الحكم، كما أوضح بيسكو للسلطان الآثار السلبية التي ستلحق بعمان في حالة إصراره على التنازل حيث ستحجب مساعدة السلاح المالية التي تقدمها بريطانيا لعمان سنويا لكونها مرتبطة بوجوده في الحكم ولا تنتقل لخلفائه، وقد طلب المقيم البريطاني من السلطان أن يتأكد بنفسه من صحة أقواله وذلك بالرجوع إلى مذكرة (نوكس) التي سلمت إليه عام ١٩٢٣م والتي كانت تنص صراحة على أن مساعدة السلاح هي معونة شخصية[٤] .

ولدى دراستنا للأسباب التي تقف وراء محاولات السلطان تيمور المتكررة للتنازل عن الحكم نجدها عديدة وهي تختلف تماماً عما كان يدعيه السلطان شخصياً من تدهور حالته الصحية[٥] .

ويمكن أن نجمل هذه الأسباب فيما يلي :

* بلوغ النفوذ البريطاني أقصى ذروته في عهد السلطان تيمور بن فيصل[٦]، إذ تولى المستشارون الإنجليز إدارة شئون الدولة وسيَّروها وفق مشيئتهم دون الرجوع إلى السلطان[٧]، الأمر الذي جعل السلطان يكثر من تردده على الهند هرباً من الضغط البريطاني على مرافق حكمه .

* الأزمة الاقتصادية التي عصفت بعمان خلال عهد السلطان تيمور وما خلفته من مضاعفات سياسية خطيرة، فبعد الاستقرار النسبي الذي حظيت به عمان بعد تجاوز أزمتها الاقتصادية في العشرينات لم تلبث أن تعرضت ثانية إلى نكسة اقتصادية شديدة نتيجة للأزمة الاقتصادية، التي شهدها العالم في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي . وقد كان تأثيرها شديداً على عمان لكونها قد تزامنت مع الفترة التي كانت فيها عمان تحاول إصلاح أنظمتها المالية والإدارية الضعيفة .

* الحركات الانفصالية التي اندلعت في عهد السلطان تيمور وعدم اكتراث الحكومة البريطانية بها أو محاولة قمعها الأمر الذي أدى إلى تأجيج الخلاف وتعثر العلاقات بين عمان وبريطانيا[٨] .



سعيد بن تيمور

أما موقف بريطانيا من تنازل السلطان تيمور عن الحكم

فكانت الحكومة البريطانية ترفض كل محاولة يقوم بها السلطان تيمور للتنازل عن الحكم في عمان على الرغم من أنها كانت تدرك الأسباب الحقيقية للتنازل والتي تطرقنا لها آنفاً، فتحاول من جانبها تذليل بعض الصعاب التي تواجه السلطان في حكمه، ففي رسالة بعث بها بيسكو المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى حكومته في شهر يناير عام ١٩٣٠م تطرق فيها إلى إمكانية عدول السلطان عن رغبته في التنازل فيما لو اتخذت الحكومة البريطانية بعض الإجراءات المالية لسد العجز في ميزانية عمان إلى جانب اتخاذ إجراءات أخرى عسكرية لإعادة تثبيت نفوذ السلطان على المقاطعات العمانية التي أعلنت انفصالها عنه . وقد استجابت بريطانيا بالفعل إلى اقتراحات وكيلها بيسكو فعملت على تدعيم الأوضاع العسكرية والمالية في عمان حيث تمت زيادة الضرائب الجمركية على التجارة الخارجية العمانية بعد أن دخلت بريطانيا في مفاوضات مع الدول التي ترتبط مع عمان بمعاهدات تجارية بغية زيادة الضرائب الجمركية على وارداتها من عمان، كما منحت حكومة الهند البريطانية عمان قروضاً إضافية من البنك الإمبراطوري في الهند[٩] .

ومن جانب آخر، حاولت بريطانيا إعادة تثبيت النفوذ للسلطان العماني على منطقة صور بعد أن رافق المقيم البريطاني في عمان السلطان تيمور خلال جولته في تلك المدينة صور ليشعر شيوخ القبائل فيها بأن السلطان مؤيد من لدن الحكومة البريطانية وقد كانت بريطانيا مستعدة لضرب المراكز الجمركية والاستحكامات المقامة في صور عند فشلها في تأكيد النفوذ للسلطان عليها وذلك بناءً على اقتراح من قِبَل مقيمها في عمان[١٠]، إلا أن السلطان تيمور لم تقنعه جميع هذه الإجراءات وذلك لكون المساعدات المالية التي تقدمها بريطانيا لحكومته قد تسهم في حل الأزمة الاقتصادية لفترة قصيرة إلا أنها في الوقت نفسه تزيد من قبضة التحكم البريطاني بمرافق الحكم العماني الأمر الذي يحد من فاعلية السلطان بينما يترك المجال رحباً أمام المستشارين الإنجليز ليتصرفوا بشئون البلاد دون الرجوع إليه، لذلك، عاد السلطان مرة أخرى يطرح رغبته في التنازل عن الحكم أمام المسئولين الإنجليز وأفراد أسرته الحاكمة في سبتمبر عان ١٩٣٠م ولكن رغبته هذه المرة قد

تحولت إلى قرار لا رجعة فيه عندما نفذها برحيله إلى الهند معلناً تنازله عن الحكم لابنه سعيد .

ولقد امتعضت الحكومة البريطانية من إصرار السلطان تيمور على التنازل عن الحكم وبذلك شهدت هذه المرحلة تعثراً في العلاقات العمانية البريطانية حاولت خلالها بريطانيا الضغط على السلطان تيمور كي يعدل عن قراره فقد بعثت مورافي وكيلها السياسي إلى الهند كي يعود بالسلطان إلى عمان إلا أن السلطان رفض ذلك متذرعاً بسوء حالته الصحية(١١) .

ثم حاولت بريطانيا الضغط عليه من خلال إبلاغه بأن مخصصاته الشهرية ستنخفض من عشرة آلاف روبية إلى خمسة آلاف روبية وربما إلى ألفي روبية فقط(١٢)، كما ستتوقف المعونة السنوية التي تقدمها بريطانيا إلى عمان في حالة عدم عودته إلى سدة الحكم في عمان، بيد أن السلطان تيمور لم يبد أية خطوة نحو التراجع عن قراره .

كما جرت محاولات عدة من قِبل أصدقاء السلطان ووجهاء عمان من شيوخ القبائل ورجالاتها لثنيه عن عزمه في التنازل، فقد كتب إليه الشيخ عيسى بن صالح زعيم قبائل الحرث، ومما جاء في خطابه للسلطان قوله : "لقد ذهبت بعيداً عن عمان، فماذا تركت لنا ؟" .

فأجابه السلطان تيمور : "أجل، لقد تركت عمان ولكنني تركت نجلنا السيد سعيد لرعاية كل شيء"(١٣) .

كما سافر ابنه (سعيد) إلى الهند في السابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٣١م ليحاول إقناع أبيه في العدول عن التنازل والعودة معه للحكم في عمان، غير أن أباه أجابه بالرفض القاطع عندما قال له بالحرف الواحد : "لقد اتخذت قراري . . . ولا فائدة"(١٤) .

وقد سلمه وثيقة التنازل له عن الحكم . ويذلك أسدل الستار على حكم السلطان تيمور بن فيصل الذي كان رحيله عن عمان أبدياً إذ توفاه الله عام ١٩٦٥م في مدينة بومباي بالهند(١٥) .

ثانيا : تولي سعيد بن تيمور الحكم في عمان عام ١٩٣٢م وتأزم العلاقات العمانية البريطانية .

لم تمض فترة طويلة على عودة سعيد من الهند حتى دعا أفراد الأسرة الحاكمة ووجهاء عمان ورؤساء القبائل إلى عقد اجتماع عام طلب خلاله من "أحمد الشبلي" سكرتير والده أن يقرأ على المجتمعين نص وثيقة التنازل التي جلبها من أبيه وهو في الهند والتي دعت كافة زعماء القبائل وأفراد الأسرة الحاكمة إلى تقديم الولاء والطاعة لسعيد باعتباره السلطان الجديد لعمان[١٦] .

ولد سعيد بن تيمور عام ١٩١٠م، وتلقى تعليمه بالمدرسة العربية ببغداد[١٧] ثم انتقل للتعلم في مدرسة الأمراء بالهند وهي كلية مايو (Mayo College) التي تشرف عليها الحكومة البريطانية[١٨]، لذلك كان يجيد اللغة الإنجليزية تحدثاً وكتابة، وله زوجتان أنجبت الثانية ثلاثة ذكور أحدهما السلطان الحالي لعمان[١٩] . وبالرغم من حداثة سن سعيد إذ تولى الحكم وهو في الثانية والعشرين من عمره إلا أنه كان ذا تجربة وخبرة في ميادين الإدارة والحكم فكثيراً ما اعتمد عليه أبوه في إدارة شئون البلاد، إذ كان يحضر بانتظام اجتماعات المجلس الوزاري، وعندما توفى عمه نادر بن فيصل رئيس المجلس عام ١٩٢٩م انتخب ليكون خلفاً له في رئاسة مجلس الوزراء، كما أن بريطانيا سبق وأن اعترفت به ولياً للعهد إبان حكم والده وذلك كإجراء متبع في عمان بإعطاء الأولوية في الحكم للابن الأكبر عند اختيار الحاكم الجديد[٢٠] .

ومن الجدير بالذكر أنه في الفترة التي سبقت تسلم سعيد لمقاليد الحكم والتي كان فيها أبوه غائباً عن عمان كان يشرف بنفسه على إدارة الحكم بدل والده، وكان يمارس كافة صلاحيات السلطان في الفترات التي يسافر فيها والده، أو يبدي عدم اكتراثه بشئون السلطة من جراء تذمره من تحكم الإنجليز وتشديد قبضتهم على الحكم في عمان .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية بالسلطان الجديد سعيد بن تيمور وكان اعترافها مشروطاً باحترام سعيد لكافة الالتزامات التي سبق وأن ارتبط بها من سبقه من الحكام العمانيين إلى جانب استمراره في الاستعانة بوجهة النظر الإنجليزية[٢١] .

وعلى ضوء ذلك، وافقت بريطانيا بأن تمتد منحة السلاح لمدة ثلاث سنوات أخرى بهدف تمكين السلطان الجديد من إقرار الأوضاع الاقتصادية في بلاده، كما حصل السلطان سـعيد على اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بتربعه على سدة الحكم العماني[٢٢] .

ويبدو أن السلطان سعيد قد تألم كثيراً إثر تنازل أبيه عن الحكم لأنه كان يدرك جيداً السبب الحقيقي وراء إلحاح والده على التنازل وهو شدة قبضة الإنجليز على الحكم في عمان . لذا نجد هذا الأمر ينعكس بوضوح على سياسته منذ الأيام الأولى لتسلمه السلطة . فقد بذل قصارى جهوده في سبيل إثبات وجوده في مجال الإشراف الفعلي على سير دفة الأمور في عمان ليؤكد بذلك على حقوقه الشرعية في أن يكون مستقلاً وسيداً لمصيره بخلاف ما كان عليه والده الذي وصفته الوثائق الإنجليزية : "سلطان عمان من الناحية النظرية مستقل، ولكنه في الحقيقة مستمر في حكم عمان نتيجة لدعمنا الاقتصادي ومساندتنا العسكرية التي تصله في الرمق الأخير، والتي لولاها لخرجت عمان من قبضة هذه الأسرة في عام ١٩١٥م، أو ربما قبل هذا التاريخ بزمن بعيد"[٢٣] .

كما أدرك السلطان سعيد سبب التدهور الذي عانت وتعاني منه عمان وقد حدد ذلك بأمرين اثنين، أولهما الإفلاس المالي المزمن، وثانيهما الاعتمـاد على الدعم البريطاني . لذلك، قرر إلغاء منصب المستشار الاقتصادي الذي كان يشغله الإنجليزي (هدجوك) ليتولى بنفسه إدارة الشئون المالية للدولة . كما قرر الاستغناء عن المستشارين الإنجليز واستبدالهم بالشخصيات العربية المعروفة بمناوأتها للنفوذ البريطاني[٢٤] .

ولم يكتف السلطان سعيد بهذه الإجراءات التي تعزز استقلاله، بل دعمها بإجراء آخر كان له الوقع السيئ على العلاقات البريطانية العمانية خلال عهده وهو اختيار عاصمة جديدة لبلاده تنأى به عن النفوذ البريطاني، ففي عام ١٩٣٣م غادر السلطان سعيد مسقط إلى منطقة ظفار التي تقع في الطرف الجنوبي الأقصى من عمان على الحافة الغربية لخليج كوريا موريا والذي يمتد إلى رأس الشحر بمسافة ١٣٠ ميلاً وباتساع حوالي

١٨ ميلاً من البحر، وهي منطقة تمثل بسكانها ومنتجاتها الطبيعية واحدة من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية إثارة[٢٥] . كما تعتبر من المناطق التاريخية القديمة التي اكتسبت شهرة كبيرة فقد ذكرها الجغرافيون والمؤرخون والرحالة[٢٦] لأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري البحري في العصور الوسطى . وقد اعتبرها وليمسون من خرائب مدينة (أوفير) الشهيرة في عهد النبي سليمان[٢٧] . واتخذ السلطان سعيد من "صلالة" أهم مدن منطقة ظفار[٢٨] مقراً جديداً لحكومته[٢٩] .

وبالفعل، فقد شعر السلطان سعيد باستقلاليته التامة في مقر إقامته الجديد بعيداً عن مسقط مركز النفوذ الإنجليزي[٣٠] حيث مقر إقامة الوكيل السياسي البريطاني والمستشارين الإنجليز وكذلك منطقة تواجد وحدة الردع المسقطية Levy Corps[٣١] تلك القوة العسكرية التي أنشأها الإنجليز عام ١٩٢٢ وجعلوا عليها ضابطاً إنجليزياً من العاملين في حكومة الهند البريطانية قائداً، وقد استمرت هذه القوة تحت إشراف الضباط الإنجليز حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، إذ كانت شروط المعونة التي يتلقاها السلطان العماني تقضي بذلك[٣٢] .

إلا أن الحكومة البريطانية قد استاءت كثيراً من تصرفات السلطان سعيد الاستقلالية هذه وأخذت ترتاب بأمره فأوعزت إلى أجهزتها الاستخبارية بمتابعة نشاطاته لكي تقف على النوايا الحقيقية لجميع تحركاته .

ومن جانب آخر، أراد السلطان سعيد أن يحصل على السلاح بطريقته الخاصة كي يدعم حكمه الجديد بعد أن استغنى عن المساعدات العسكرية البريطانية وابتعد عن قوة الردع المسقطية التي كانت تحمي حكمه، فضلاً عن حاجته الماسة للسلاح لإخماد الاضطرابات في الداخل التي مازالت تستعر وتهدد حكمه إذ أن عمان كانت تنقسم إبان عهده إدارياً . فالإمام الأباضي كان يحكم الداخلية لعمان وهو الذي يعين الولاة والقضاة من مقره بنزوى على الولايات الداخلية[٣٣] . لذلك، عقد السلطان سعيد العزم للحصول على كميات مناسبة من السلاح ليعزز بها قواعد حكمه، لكنه أراد أن يحيط ذلك بسرية تامة .

وبالفعل، فقد سافر إلى اليابان متنكراً على متن إحدى البواخر الإيطالية[٣٤]، وكان بصحبته وسيط تجاري يهودي اسمه (المعلم صالح حاييم) ولدى وصولهما سنغافورة تقابلا

هناك مع الشيخ محمد السقاف الذي كان يعمل ممثلاً لليابان في السعودية، لكن الاستخبارات البريطانية كشفت جميع تحركات السلطان وتنبهت إلى أن منطقة ظفار التي اختارها السلطان سعيد كمقر جديد له كانت مركزاً هاماً من مراكز تهريب السلاح من اليابان[٣٥] . وعلى ضوء ذلك، غيرت الحكومة البريطانية من لهجتها إزاء السلطان العماني فوجهت له إنذاراً شديد اللهجة تدعوه إلى تحديد موقفه من بريطانيا بدقة ووضوح كما طلبت منه أن يبادر فوراً إلى طرد الأشخاص غير المرغوب فيهم من خدمته وقد أبلغه المقيم البريطاني في الخليج العربي هذا الإنذار كما أخبره بقرار حكومته القاضي بوقف المنحة المادية عنه والخاصة بمعونة السلاح .

وفي الواقع، لم يكن تصرف الحكومة البريطانية حازماً — في تلك المرحلة — مع عمان فقط وإنما كانت سياسة عامة تجاه منطقة الخليج العربي برمتها نتيجة للتراجع الذي شهدته المنطقة للنفوذ البريطاني في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي بسبب المتغيرات الدولية والحديثة التي طرأت على المنطقة، ولذلك نجد إحدى الوثائق الإنجليزية في وزارة الخارجية البريطانية تؤكد على اتخاذ سياسة بريطانية جديدة حيال الأوضاع في الخليج العربي، حيث جاء فيها : "إن الخارجية البريطانية ترى في عام ١٩٣٦م أن المتغيرات الحديثة قد أدت إلى ثورة في وضع الخليج العربي إذ لم يعد وضعه — كما كان الحال سلفاً — بحيرة معزولة عن رياح المتغيرات الدولية، وترى الخارجية وجوب مراجعة سياساتها في الخليج لأن الثبات على السياسة القديمة لم يعد مجدياً وعليهم أن يسيروا بسياستهم إلى الأمام أو أن يرتدوا بها القهقرى"[٣٦] .

ثالثاً : عودة العلاقات الطبيعية بين عمان وبريطانيا

لقد تصرف السلطان سعيد باستقلال تام في إدارة دفة الحكم مبتعداً في كل إجراءاته وقراراته عن التأثير البريطاني، وهذا الأمر لم يكن بالهين وإنما تطلب جرأة وحكمة نادرتين حتى قال عنه لاندن : "إن حكم السلطان سعيد قد تميز بالاستقلالية وحرية التصرف من الوجهتين الفعلية والقانونية، وأنه أظهر حكمة وبعد نظر يكاد يكون نادراً

بين أقرانه من سلاطين عمان السابقين"[٣٧] إلا أن سعيداً لم يكن باستطاعته الاستمرار في النهج المستقل الذي اختطه لسياسته بعيداً عن المساعدات المادية والعسكرية الإنجليزية، حيث اتضحت له ضآلة إمكانياته التي يواجه بها أعباء الحكم ومشاكله فأخذت الصعوبات والأزمات الحادة تجتاح بلاده من كل ناحية، فداخلية عمان ومناطق أخرى من البلاد أخذت تنسحب رويداً رويداً من سلطته حتى وصف لونكريك (Longrigg) وهو أحد المسئولين الإنجليز في شركة نفط العراق حالة عمان خلال هذه الفترة بقوله : "إن سلطان عمان الشاب سعيد بن تيمور كان أبعد ما يكون عن التمتع بسلطة لا ينازعه عليها أحد، فلم تكن القبائل البعيدة مستقلة عن حكمه استقلالاً يكاد يكون تاماً فحسب، بل كان الأهالي في قلب البلاد كما كان سكان الوديان وقرى منطقة الجبال يدينون بالطاعة لحاكم منافس وهو إمام عمان"[٣٨] .

وهكذا نجد أن الإمام في داخلية عمان قد استغل استقلالية السلطان سعيد وابتعاده عن بريطانيا ليوسع من رقعة الإمامة حتى امتدت إلى أقصى حدودها الإقليمية خلال هذه الفترة من حكم السلطان سعيد فضمت من الجنوب واحة بني بوحسن، ومن الشرق رأس سلسلة جبال الحجر، بالإضافة إلى بلدة سمايل ومدينة الرستاق على المنحدرات المطلة على جبال الحجر في ساحل الباطنة . أما شمالاً فبلدة عبري ومن الغرب تحدها رمال الصحراء أو الربع الخالي، وكانت داخلية عمان تتجه نحو العزلة والانغلاق، وحتى السنة التي يتوقف عندها البحث كانت الإمامة تخضع لشخصية محمد بن عبد الله الخليلي كإمام للمنطقة يساعده الشيخان عيسى بن صالح زعيم قبيلة الحرث وسليمان بن حمير زعيم قبيلة بني ريام . والرجال الثلاثة محافظون ومن أنصار العزلة ولا يؤمنون بالانفتاح على العالم أو الاحتكاك بالأجانب[٣٩]، ولكن الغريب في الأمر، أن الإمامة ظلت تعادي السلطان بالرغم من ابتعاد السلطان عن الإنجليز في الوقت الذي كانت الإمامة تدّعي بأن سبب خلافها الرئيسي مع السلطان يعود لارتمائه في أحضان الإنجليز وتنفيذه لرغباتهم في البلاد .

ومن جهة أخرى كان السلطان سعيد يتخوف من تحرك السعوديين نحو عمان والهجوم على واحة البريمي التي بقيت موضع نزاع بين عمان والسعودية . وواحة البريمي جغرافياً هي تلك الرقعة من الأرض المنبسطة على مساحة من الأرض تقدر

بـ (٧٣,٥٥٤) كيلومتراً مربعاً وتقع في جنوب الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر غرباً وشبه جزيرة رؤوس الجبال شرقاً[٤٠]، وهي تشكل بذات الوقت الجزء الشمالي الغربي من إقليم الظاهرة يربطها من الجنوب "جبل حفيت" وبالشمال وادي سمايل وبالغرب الصحراء[٤١]. وتتألف واحة البريمي من تسع قرى تسكنها قبائل النعيم وتفصل بينها مساحات صحراوية متقاربة الاتساع وفيها عدة ينابيع للماء وهي مركز طبيعي للزراعة وتبادل التجارة وهي الطريق المؤدي إلى مسقط[٤٢].

ومن الجدير بالذكر، أنه منذ انتشار الحركة السلفية أوائل القرن التاسع عشر وعمان تتعرض إلى هجمات سعودية على أراضيها، ففي عام ١٨٤٥م تعرضت عمان إلى هجوم السعوديين بقيادة سعد بن مطلق على منطقة البريمي، بعدها اتفق الطرفان (السعودي والعماني) على هدنة لتهدئة الموقف بعد أن استلم القائد السعودي مبلغاً بقيمة عشرين ألف ريال من السلطان العماني. ثم تكررت الهجمات السعودية على عمان عقب ذلك في فترات متقطعة، إذ كان السعوديون ينتهزون فرصة الأوضاع القلقة في عمان وكان أعنف هجوم قاموا به عام ١٨٥٣م حيث شن الأمير السعودي عبد الله الفيصل هجوماً بحرياً عبر شبه جزيرة قطر حتى وصل إلى واحة البريمي في عمان مجبراً شيوخ القبائل فيها على الولاء للسعوديين وبعد أن طلب السلطان العماني من المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي التدخل بينه وبين السعوديين تم عقد الصلح بينهما وعلى أساس إبقاء حامية سعودية في واحة البريمي تدفع الرواتب لأفرادها من الحكومة العمانية[٤٣]. وقد استمرت الحامية السعودية بجمع الزكاة من القبائل القاطنة في واحة البريمي طيلة سنوات تواجدهم فيها[٤٤]. وقد ازدادت مخاوف السلطان العماني بعد انتصار عبد العزيز بن سعود في معركته ضد الهاشميين في الحجاز عام ١٩٢٥م إذ أخذ بن سعود يولي المقاطعات الشرقية من الجزيرة العربية اهتماماً أكبر من ذي قبل فيوفد الموظفين لمتابعة الحامية السعودية في البريمي واستعراض الحالة هناك بين آونة وأخرى.

ومن الواضح، أن السعودية اعتبرت منطقة البريمي واحة سعودية منذ أن تواجدت قواتها فيها. لذلك رفضت السماح لفرقة من السلاح الجوي البريطاني للقيام باستطلاعات فيها[٤٥]. ولذلك باتت المخاوف التي تراود السلطان سعيد من تجدد هجمات السعوديين لأراضيه أمراً محتملاً خاصة وأن العاهل السعودي كان يؤمن بأن من

حقه المطالبة بأي منطقة سبق أن حكمها أو سيطر عليها أسلافه أو خضعت لنفوذهم خلال القرن التاسع عشر[٤٦] . فضلاً عن تخوف السلطان سعيد من تبدل الموقف البريطاني إزاء واحة البريمي التي كانت موضع نزاع بين المملكة العربية السعودية من جهة وإمارة أبوظبي وعمان من الجهة الأخرى وذلك خلال الفترة الواقعة بين ١٩٣٥ – ١٩٥٥م وقد وقفت بريطانيا ضد السعودية في الجدل الذي امتد طوال هذه الفترة وانتهى بعرض النزاع على هيئة تحكيم دولية[٤٧] . وكان الإنجليز قد غيروا موقفهم إزاء السعودية بعد أن أعطت امتياز التنقيب عن النفط لشركة أمريكية عام ١٩٣٣م[٤٨] .

بالإضافة إلى معاناة السلطان سعيد من المشاكل مع الإمامة في الداخل والسعودية في الخارج، كانت هناك مشكلة عويصة أخرى هي مشكلة الجفاف الحاد التي شهدتها عمان في الثلاثينات من القرن الماضي والتي أدت إلى إتلاف جانب كبير من المناطق الزراعية الخصبة[٤٩] .

كما أثارت الحكومة الفارسية بنفس الفترة مشكلة ادعاءاتها بمسقط . وكانت ترتكز في هذا الادعاء على احتلالها لمسـقط في عهد نـادر شاه خلال الفترة من ١٧٣٨ إلى ١٧٤٤م[٥٠] .

وهذه العوامل مجتمعة أدت بالسلطان سعيد إلى قبول الإنذار البريطاني والتخلي عن سياسة عدم الاستعانة بالإمكانات البريطانية، سواء كانت عسكرية أو مادية أو دبلوماسية . وقد اشترط إجراء تعديل على المعاهدة البريطانية العمانية المعقودة عام ١٨٩١ م، فوافقت السلطات البريطانية على ذلك الأمر الذي أدى إلى عودة السلطان سعيد من ظفار إلى العاصمة مسقط .

وكتعبير عن حسن النية في العلاقة الجديدة مع الإنجليز قام السلطان سعيد في نوفمبر عام ١٩٣٧م بزيارة ودية إلى بريطانيا نزل فيها ضيفاً على الحكومة البريطانية لمدة شهرين[٥١] . كما قام في مطلع العام التالي (١٩٣٨م) بجولة حول العالم زار خلالها الهند والولايات المتحدة الأمريكية[٥٢] . وكانت زيارته للولايات المتحدة الأمريكية بناء على دعوة رسمية وجهت له من قِبل الرئيس روزفلت منذ عام ١٩٣٣م بواسطة سفيرها في العراق بول نابنشو (Paul Nabenshow) خلال زيارته لمسقط إحياءً للذكرى المئوية لتوقيع اتفاقية عام ١٨٣٣م بين الولايات المتحدة وعمان[٥٣] .

وفي الخامس من شهر فبراير عام ١٩٣٩م جرت مفاوضات بين بريطانيا متمثلة بالمقيم السياسي في الخليج العربي وليم فاول (William Fowle) وبين عمان يمثلها السلطان سعيد بن تيمور شخصياً تمخضت عن إبرام معاهدة جديدة بين الطرفين لتحل محل المعاهدة السابقة التي كانت قد عقدت في ١٩ مارس من عام ١٨٩١م[٥٤] .

وقد تضمنت المعاهدة الجديدة ثلاثة وعشرين مادة[٥٥]، ولعل من أبرز المواد التي تضمنتها المعاهدة المادة الحادية عشرة والتي نصت على أن[٥٦] : "أياً من الطرفين المتعاهدين له أن يعين قناصل ليقيموا في أقطار الطرف الآخر بشرط القبول والاستحسان من الطرف الآخر من حيث الأشخاص المرشحين والمحلات التي سيقيمون فيها والقناصل المعينون يمنح لهم على الدوام في الدولة التي يقيمون فيها معاملة وامتيازات لا تكون أقل من قناصل الدول الأخرى"[٥٧] .

ويتضح لنا من المادة المذكورة مستوى العلاقات التي ربطت عمان ببريطانيا حيث أشير بوضوح إلى تبادل المثلين الدبلوماسيين بين البلدين بمستوى القناصل وهذه المادة قد وردت أيضاً في المعاهدة السابقة التي عقدت بين بريطانيا وعمان عام ١٨٩١م[٥٨] .

كما تطرقت المواد الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة إلى الشكاوى الجنائية والدعاوى الحقوقية والإجراءات المتعلقة بإدارة المتروكات للمتوفين ودعاوى الإفلاس وكيفية حسمها من قِبل محاكم البلدين .

وأشارت المادة السابعة عشرة من المعاهدة إلى حرية أداء جميع الشعائر الدينية لعناصر البلدين ما لم تكن إقامة هذه الشعائر تنتهك أو تجرح عواطف أهالي البلد التي تقام فيه فضلاً عن حق أبناء البلدين في بناء البنايات الخاصة بعبادتهم في الأماكن التي يعملون فيها شرط ألا يقوم أحد من الطرفين المتعاهدين بعمل يخل بالمعابد الموجودة لدى الطرف الآخر[٥٩] .

أما بقية مواد المعاهدة الجديدة فقد تناول أغلبها حرية التجارة والملاحة بين البلدين علاوة على التمتع بالحقوق والامتيازات في البيع والشراء والصيانة والحماية التي يجب أن يوفرها أحد الطرفين للآخر . وكذلك شملت هذه المواد إعفاء البضائع العائدة لدى الطرفين من الرسوم والضرائب والعشور الجمركية .

وفي الواقع، أن السلطان سعيد بالرغم من استجابته للإنذار البريطاني، فقد نجح في إرغام الإنجليز على التخفيف من القيود غير المباشرة التي كانوا يفرضونها على سياسة الحكم في عمان منذ عام ١٨٩١م مقابل ترحيبه بالتعاون معهم[٦٠] . إذ أن المعاهدة الجديدة لم يرد فيها حقوق إضافية للرعايا الإنجليز وامتيازات خاصة بهم دون رعايا عمان كما ورد ذلك في المعاهدة السابقة لعام ١٨٩١م[٦١] .

وفي أغسطس من عام ١٩٣٩م أي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية قدمت بريطانيا كمية من السلاح إلى عمان كهدية، في الوقت الذي أجرى القنصل البريطاني في عمان مفاوضات مع السلطان سعيد قدم خلالها ضماناً بريطانياً ضد أي اعتداء خارجي على عمان، كما وعده بتقديم المعونة المادية، وقد أبدى السلطان استعداده في تقديم مهابط لطائرات السلاح البريطاني في عدد من المناطق الواقعة بين مدينتي مسقط وصلالة مقابل عدة شروط كان من أهمها ما يلي :

١ – أن تكون عمان عضواً مفاوضاً في شأن كل اتفاق هدنة أو سلام عند نهاية الحرب .

٢ – أن تنتهي التسهيلات الممنوحة للإنجليز بنهاية الحرب وأن لا يعمل بها بعدئذ إلا بإذن خاص من السلطان العماني .

٣ – أن يستشار السلطان في كل الشئون السياسية المتعلقة بعمان .

وعندما تأملت الحكومة البريطانية شروط السلطان سعيد وجدت من الضروري الموافقة عليها ليس لحماية مصالحها في عمان فحسب وإنما للمحافظة على مصالحها في عموم منطقة الخليج العربي وللحيلولة دون اهتزاز ثقة أبناء المنطقة فيها كما عبر عن ذلك القنصل البريطاني في تقريره الذي أرسله إلى حكومته والذي ذكر فيه أيضاً بأن عمان قد حصلت على الامتيازات من بريطانيا أكثر من أية دولة عربية أخرى[٦٢] .

ويتضح لنا بأن السلطان سعيد حتى في ظل عودته للاستعانة بالإنجليز حاول أن يكسب المزيد لصالح دولته وأن يصل بها إلى الحد الأدنى من الاستقلالية وعدم الانصياع التام للسياسة البريطانية . كما حاول استثمار ما تقدمه بريطانيا من دعم وخبرات لتطوير عمان وتقدمها في جميع الميادين حتى قال مرة : "إذا لم يكن لدي اكتفاء ذاتي في سلعة

ما، أو في أحدث أساليب التنمية، فإنني أسافر لأستوردها من الخارج، ونفس الشيء بالنسبة للتخصصات من الرجال التي لا تتوافر في عمان، فإنني أذهب إلى مصدرها لأحصل عليها"[٦٣].

وبالفعل نجح السلطان سعيد في الاستفادة من الخبرات الأجنبية لصالح بلاده في الإعمار والمنعة حتى نال إعجاب المؤرخين أمثال لاندن الذي وصفه في كتابه الذي صدر عام ١٩٦٦م بأنه : "كان ومازال أهم حكام البوسعيد منذ عهد سميِّه سعيد بن سلطان منذ أكثر من قرن" [٦٤].

الاستنتاجات

توصلنا من خلال البحث إلى ما يلي :

١ — عبر الحكام العمانيون — خلال فترة البحث عن تذمرهم من التحكم البريطاني لمرافق الحكم في عمان، إذ تخلى السلطان تيمور بن فيصل عن الحكم نهائياً عام ١٩٣٠م و بينما استغنى السلطان سعيد بن تيمور — مطلع حكمه — عن المستشارين الإنجليز واستبدل بهم شخصيات عمانية وعربية وقد حاول جاهداً الابتعاد عن النفوذ البريطاني .

٢ — تعرضت عمان خلال فترة البحث إلى مصاعب سياسية واقتصادية بالغة الصعوبة والتعقيد الأمر الذي أجبر السلطان سعيد على التخلي عن سياسته المستقلة والعودة للاتصال بالإنجليز والاحتماء بمعونتهم المالية والسياسية والعسكرية .

٣ — تمسك بريطانيا الشديد بعمان نابع من حرصها الدءوب في المحافظة على مصالحها الحيوية في العالم خاصة وأن عمان تقع على الطريق الموصل إلى – الهند — الدرة اللامعة في التاج البريطاني .

د. فاضل محمد الحسيني

جامعة ناصر – ليبيا

الهوامش

١ – قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي١٩١٤–١٩٤٥م . .، دراسة لتاريخ الإمارات العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٠٧٣، ص٣٧٤ .

٢ – فيليبس، وندل، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، مسقط ١٩٨١م، ص١٨٢ .

٣ – Peterson, J.E, Oman in the 20th century, London, 1978, P.50.

٤ – F.O. 371/14469 Resident to Taimur Ben Faisal, 11th November 1930.

٥ – Peterson, OP-Cit, P5.

٦ – لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الثالثة، مسقط ١٩٨٣م، ص٤٧٦ .

٧ – لقد ازداد المستشارون الإنجليز لدى حكومة السلطان تيمور وقد أصبحوا بمثابة الوزراء في الحكومة العمانية، واشتهر من بين هؤلاء توماس الذي غدا المستشار الأول للسلطان عام ١٩٢٥م ثم وزيراً للمالية عام ١٩٢٦م . (A.B., Primary documents, 1853-1957, P. 43.)

٨ – F.O. 371/14469, Biscoe to Government of India.

٩ – F.O. 371/15276, Biscoe to Government of India, Jan. 1930.

١٠ – قاسم، الخليج العربي ١٩١٤–١٩٤٥م . . المصدر السابق، ص٣٧٤ .

١١ – Peterson, OP-Cit, P.51.

١٢ – الشهداني، خليل إبراهيم صالح، التطورات السياسية في عمان وعلاقتها الخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٨٦م، ص١٤٢ .

١٣ – فيليبس، المصدر السابق، ص١٨٢ .

١٤ – المصدر نفسه .

١٥ – Peterson, OP-Cit, P.P 61-66.

١٦ – العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٧٧ .

١٧ – I.O, Administration, Memorandum, Muscat, 1908-1928, Aug. 1928.

١٨ – Peterson, OP-Cit, P51.

١٩ – فيليبس، وندل، رحلة إلى عمان، مسقط ١٩٨٦م، ص ص ١٦–١٧ .

٢٠ – لاندن، المصدر السابق، ص٤٧٧ .
٢١ – بيدول، آر، الاتفاقات الدولية مع سلطنة عمان، الحصاد، ندوة الدراسات العمانية، جـ٨، مسقط ١٩٨٠م، ص٢٣٠ .
٢٢ – فيليبس، المصدر نفسه، ص١٨٣ .
٢٣ – إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، طبعة أولى، الرياض ١٩٨١م، ص٢٦٨ .
٢٤ – قاسم، الخليج العربي ١٩١٤–١٩٤٥ . . المصدر السابق، ص٣٧٦ .
٢٥ – مايلز، الخليج . . بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، طبعة رابعة، مسقط ١٩٩٩م، ص ص٤٨١–٤٨٢ .
٢٦ – وصفها الرحالة الكبير ماركو بولو خلال زيارته لها عام ١٩٢٠م فقال : "ظفار مدينة عظيمة جليلة حسنة تقع على مسافة ٥٠٠ ميل إلى الشمال الغربي من الشحر وهي واقعة على البحر ولها ميناء جيد جداً ولذا بينها وبين الهند حركة نقل بالمراكب عظيمة"، عمان وتاريخها البحري، مجلة كبيرة الحجم أصدرتها وزارة الإعلام والثقافة، مسقط ١٩٧٩، ص٤٢ .
٢٧ – كوستا، إم. باولو، دراسة لمدينة ظفار، عمان ١٩٨٤م، ص ص٩–١٠ .
٢٨ – عمان ١٩٨٧، مجلة أصدرتها وزارة الإعلام العمانية، مسقط ١٩٨٧، ص١٧ .
٢٩ – شهدت مدينة صلالة نوعاً من التنمية والتطوير بعدما أصبحت المقر الجديد للسلطان سعيد بدلاً من مسقط (كوستا، المصدر السابق، ص٦) .
٣٠ – تذكر المصادر أن السلطان سعيد لم يجر أي اتصال مع الإنجليز خلال عام كامل من وجوده في مقره الجديد : صلالة"، قاسم، الخليج العربي ١٩١٤–١٩٤٥، المصدر السابق، ص٣٧٧ .
٣١ – I.O. P5132/13, 13/14, Letter from Government of India to Foreign Office, Jan. 17, 1914.
٣٢ – إبراهيم، حكومة الهند . . المصدر السابق، ص ص٢٦٦–٢٦٧ .
٣٣ – بن حبيب، مال الله بن علي، ملامح من تاريخ عمان، ترجمة محمد محمد كامل مسقط بدون تاريخ، ص٢٧ .
٣٤ – F.O. 371, Proposed Visit to Japan, E 5191/1023/91, Muscat, 26781.
٣٥ – F.O. 371, Ex-Sultan, Political activities to be watched, Muscat, E 838/838/91.
٣٦ – F.O. E 6458/19/35/States of Bahrain and Sheikhdoms of the Persian Gulf, 2nd March/1936.

٣٧ – لاندن، المصدر السابق، ص٤٧٧ .

٣٨ – قاسم، الخليج العربي، ١٩١٤–١٩٤٥م، المصدر السابق، ص٢٧٦ .

٣٩ – لاندن، المصدر السابق، ص ص٤٧٨–٤٨٠ .

٤٠ – قلعجي، قدوري، الخليج العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ص٥٨٣–٥٨٤

٤١ – مايلز، المصدر السابق، ص٥٦٧ .

٤٢ – عبد الله، محمد مرسي، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٨، ص٣٥ .

٤٣ – Palgrave, William, narrative of a year's journey through central and eastern Arabia, Vol. I, London, 1865, P. 286.

٤٤ – A.B., Secret, No. C/232, from Major Bremner, Political Agent & Consulate Muscat to Honorable the Political Resident in the Persian Gulf, 23rd Oct., 1934.

٤٥ – I.O., 1st Sep. 1934, Historical Memorandum on the Relations of the Wahhabee Almirs & Ben Saud with Eastern Arabia & British Government, 1900-1934.

٤٦ – لاندن، المصدر السابق، ص٤٧٩ .

٤٧ – العقاد، صلاح، استخدام الوثائق في منازعات الحدود بمنطقة الخليج، تطبيق على النزاع حول واحة البريمي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الحادية عشرة، العدد ٤٣، الكويت ١٩٨٥م، ص١٤٢ .

٤٨ – قلعجي، المصدر السابق، ص٥٨٧ .

٤٩ – لاندن المصدر السابق، ص٤٨١ .

٥٠ – قاسم، جمال زكريا، الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي، أصول المشكلة وتطورها التاريخي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون، القاهرة ١٩٧٣، ص١٩٠ ؛ F.O. 371, Possible, Persian Claim to s, E 4804/51/91.

٥١ – F.O. 371/2078/ Government of India to Secretary of State for India, 31st Nov., 1937

٥٢ – F.O. 371, E 6985/1023/ Departure from U.S to U.K, Feb. 1038.

٥٣ – إيلتش ، هيرمان، عمـــان والولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة محمد كامل، عمان ١٩٨٥، ص ص٢٧–٢٨ .

٥٤ – Records of Oman, 1867-1947, Selected and edited by R.W. Bailey CMG, Vol. VI, London, 1988, P. 558.

٥٥ – اطلعنا على النص الأصلي للمعاهدة الجديدة (١٩٣٩) في مكتبة جامعة السلطان قابوس خلال زيارتنا لسلطنة عمان عام ١٩٩٤م .

٥٦ – R.O, Relation with the United Kingdom, Treaty of Commerce & Navigation, His Majesty & the Sultan of Muscat, Oman, Muscat, February 5, 1939.

٥٧ – R.O, Treaty Series No. 29, Muscat, Feb. 5, 1939 Article 11, P. 531.

٥٨ – F.O, 371, Agreement for Prolongation of Anglo-Oman Commercial Treaty, E11710/1778/44, Muscat, 1891 .

٥٩ – R.O, Treaty of Commerce & Navigation Between His Majesty & the Sultan of Muscat & Oman, 1936, P. 533.

٦٠ – لاندن، المصدر السابق، ص٤٧٧ .

٦١ – F.O, 54/26, Agreement Regarding the Cession of Territory by the Sultan of Oman, dated 20 March 1891.

٦٢ – إبراهيم، حكومة الهند . . المصدر السابق، ص ص٢٧١–٢٧٣ .

٦٣ – فيلبس، المصدر السابق، ص١٨١ .

٦٤ – لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٩م، ص٤٩٥ .

ملاحظة :

الرموز التي وردت في الهوامش تعني ما يلي :

١ – وثائق وزارة الخارجية البريطانية	F.O. = Foreign Office Records.
٢ – وثائق وزارة الهند البريطانية	I.O. = India Office Records
٣ – وثائق الحدود العربية	A.B. = Arabian Boundaries.
٤ – وثائق عمان	R.O = Records of Oman